

برعاية / اللجنة القطرية لرؤساء السلطات المحلية العربية في إسرائيل

اللغتنا العربية

رؤيا وتحديات

أ.د. محمد أمارة

2013



لغتنا العربية: رؤيا وتحديات

لغتنا العربية: رؤيا وتحديات
أ.د. محمد أمارة

שפתנו הערבית: חזון ואתגרים
פרופ' מוחמד אמרה

Arabic Language: Vision and Challenges
Prof' Muhammad Amara

لجنة استشارية: أ.د. محمود ميعاري، محمد حياذري، د. يوسف جبارين، مرزوق الحلبي.
تحرير ومراجعة لغوية: رجا زعاترة
تصميم وإنتاج: وائل واكيم

إصدار: دراسات- المركز العربي للحقوق والسياسات، لجنة متابعة قضايا التعليم العربي، المجلس التربوي العربي. الناصرة 2013.

By: Dirasat – Arab Center for Law and Policy, The Follow Up Committee on Arab Education, Arab Pedagogical Council. Nazareth 2013.

www.dirasat-aclp.org

www.arab-education.org

المشاركون والمشاركات في الطاولات المستديرة

- | | |
|------------------------|--------------------|
| أ.د. محمود معاري | أ.د. محمد أمارة |
| أ.د. جورج قناز | أ.د. محمد أمارة |
| د. يوسف جبارين | أ.د. جورج قناز |
| د. هالة أسبنيولي | د. يوسف جبارين |
| د. أيمن إغبارية | د. هالة أسبنيولي |
| د. عبد الرحمن مرعي | د. أيمن إغبارية |
| د. حسين حمزة | د. عبد الرحمن مرعي |
| د. غالب عنابسه | د. حسين حمزة |
| د. محمود كيال | د. غالب عنابسه |
| د. عايدة نصرالله | د. محمود كيال |
| د. مهند مصطفى | د. عايدة نصرالله |
| د. رياض كامل | د. مهند مصطفى |
| د. أحمد مصالحة | د. رياض كامل |
| د. عالية أبو ريش | د. أحمد مصالحة |
| د. نبيه القاسم | د. عالية أبو ريش |
| د. موسى إغبارية | د. نبيه القاسم |
| د. حبيب بولس (المرحوم) | د. موسى إغبارية |

ديباجة

بناءً على ما أنتجه مجتمعنا من أفكار وطروحات فكرية تتعلّق باللغة والهوية والحقوق الثقافية، وانطلاقاً مما أوحى به، وتأسيساً على وثائق رؤيوية جماعية سابقة بوصفها نصوصاً مؤسّسةً ناظمةً، رأينا أن نخطو في مسار الاهتمام بلغتنا خطوة أخرى لنضع وثيقة رؤيوية تتصل بسياسات اللغة العربية وإدارتها. وقد انطلقنا في ذلك من الفرضية العلمية الاجتماعية القائلة بالمفهوم الواسع للغة التي تشكّل في منتهاتها هوية الجماعة الناطقة بها بكل أبعادها، بتاريخها وذاكرتها وثقافتها ومعاييرها وتطلعاتها ومنظومة القيم الخاصة بها. وهي ذلك الحيز الذي تحقّق فيه الجماعة ذاتها يومياً وتمارس في رحابه وجودها.

اللغة العربية بالنسبة لنا، نحن العرب الفلسطينيين في إسرائيل، هي لغة أمّ حاملة لثقافتنا وهويتنا وانتمائنا، وهي فضاءنا العربي بمكوناته القومية والثقافية والدينية على ما فيه من تعدد يمنحنا خصوصيتنا ويمدنا بطاقة وحيوية وسط شروط وجودية معيقة نشأت غداة النكبة وتتمثّل في غربة في الوطن والحيز اللغوي وانحسار مكانتنا ومكانة لغتنا فيه.

كنا نتمنى أن تضطلع لغتنا العربية بوظيفتها الأوسع كما أشير إليه، إلا أننا على إدراك تام للبيئة اللغوية-الاجتماعية-السياسية التي نعيش وسطها، والمنافسة المفروضة على اللغة العربية في البلاد من اللغة العبرية بوصفها

لغة الحراك العام في الدولة والتواصل اليومي، ومن الإنجليزية كلغة الاقتصاد والتكنولوجيا والعولمة. ومع هذا، فإننا نريد لأنفسنا والأجيال من بعدنا شروطاً تُتيح تطوير علاقة حميمة بلغتنا من خلال تمكينها من القيام بكل وظائفها، وجعلها حيزاً للحراك نعيش ونتج به ذواتنا كأفراد وجماعة. وهو موقف مبدئي من لغة أم نريد الانطلاق منها وبها إلى تعددية لغوية تُتيح لنا الاتصال مع سياقنا وما فيه من ثقافات ولغات من خلال الانفتاح على الاختلاف والتعدّد اللغوي.

ليس خافياً علينا أن أسباباً تاريخية لغوية وسياسية وسيكلوجية حالت دون نهوض اللغة العربية هنا بالوظائف المرجوة منها كحاملة لهوية وثقافة أقلية وطن أصلانية ألقت نفسها في معركة بقاء على مستويات عدة، وكحيزٍ حدثي حيوي قادر على النماء واحتواء حركة الحياة والعلوم والمعارف الجديدة. فقد اعتمدت دولة إسرائيل سياسات لغوية قضت وضوحاً بتفضيل اللغة العبرية ومنحها الريادة، بل الحصرية، في تصميم الحيز العام علماً بكون العربية لغةً رسميةً وفق القانون الاسرائيلي الموروث عن مرحلة الانتداب البريطاني. عمدت الدولة ومؤسساتها منهجياً إلى إقصاء اللغة العربية وخفض شأنها كجزء من ترسيخ أسس الدولة اليهودية واستحواد اللغة العبرية على الحيز المكاني والاجتماعي والسياسي. من هنا، فإن اشتغالنا بلغتنا وإدارتها هو اشتغال بالوجودي في سياق يتسم بهيمنة العبرية كلغة السياسة والحراك، وبمنافسة الإنجليزية كلغة التواصل عالمياً.

لقد خبرنا كجماعة قومية أصلانية بالتجربة والمعرفة أهمية اللغة بالنسبة لنموننا وتطورنا. ومع هذا، فقد ظلّ تعاملنا مع لغتنا لردح غير قصير من

الزمن تعاملنا بيداغوجيا على نحو كيف ندرّسها، أو نحويا صرفيا على نحو "قُل، ولا تقل!" أو رومانسيا بالتغني بجمالها وبلاغتها وأمجادها. بمعنى، أن تعاملنا مع لغتنا لم يرقّ إلى مستوى إدراكنا للمعوقات التي تعترض نماءها وازدهارها، وللحاجة إلى ذلك في شرطنا الراهن. فقد تكون غابت عن تجربتنا مشاريع إدارتها ووضع سياسات لحمايتها وتمكينها وتطوير علاقة حوارية معها، وهو ما أسهم في التقليل من شأنها ومن قصور في نمائها وتطورها. نقول هذا مدركين أن اللغة العربية عانت من مظاهر الوهن في المجتمعات العربية كافة، وأن الحكومات والدول العربية أخفقت، هناك أيضا، في ضمان تطور اللغة العربية يفي بمقتضيات الحداثة وتراكم المعارف الجديدة والعلوم والخبرات في الحقول كافة. وعليه، فقد شاركت الشروط السياسية المحلية والإقليمية التي أحقت باللغة العربية في تعميق إشكالية العلاقة بيننا وبين لغتنا هنا. وهي لغة، بدت مرتبكة، ليس أمام اللغات الأخرى وسؤال الحداثة وتطور العلوم فحسب، بل أمام بنائها الداخلية لا سيما ازدواجيتها بين لغة معيارية ولغة محكية، وتخلّف المؤسسات ومجامع اللغة عن نجدتها وإنتاج مشاريع وسياسات تنهض بها.

تواجه لغتنا العربية في شرطنا الراهن جملة من التحديات في ضوء ما تراكم من عوامل عدة تاريخية وسياسية وموضوعية أعاققت الاضطلاع بوظائفها لاسيما ما يتصل منها بتوكيد الهوية والثقافة وحفظهما، واحتواء ما بعد الحداثة في الحياة والعلوم والمعارف. هذا، فيما أفضت السياسات اللغوية في إسرائيل إلى محاصرة اللغة العربية في حيزها الخاص ومنع نشوء حيّز عام يُتيح حراكا حرا وكاملا باللغة العربية باعتباره حقا وخيارا طبيعيا لمجتمع أصلا. وتُشكّل مسألتا الحيوية اللغوية والشرط السياسي للغة العربية محورين

يُنْتِجان على الدوام معيقات أمام انفتاح أفق العلاقة بيننا وبين لغتنا. ومن هنا أهمية أن يُحيط اجتهادنا هذا في وضع تصور متكامل باللغة كقضية وجودية، يتضمن خططا ومشاريع وسياسات تمثل انتقالا منّا إلى إدارة اللغة لناحية تمكينها في المنافسة وتمكيننا منها كجزء من جهدنا العام لمواجهة شرطنا الوجودي وضمان آفاق تطورنا كجماعة قومية لها امتدادها التاريخي في الحيزين المكاني والزمني.

يقينا، إن إدارة اللغة والنهوض بها، في إطار جهودنا للنهوض بمجتمعنا، يستدعي منا العمل وفق مناهج علمية نقدية تتجاوز ما اعتدناه من أنماط وما أسرنا من مبانٍ قد تكون متقدمة في التعاطي مع لغتنا وأنفسنا. وندرك أن التعاطي مع العربية كلغة أم يرتبط بمجمل تصورنا لمستقبلنا وذاتنا الجمعية في هذه الديار. وقد حزمنا أمرنا أن نُقدم على موضوعة اللغة ضمن رؤية منفتحة وحوارية قوامها التأشير والإيحاء من خلال برامج عمل محددة نقترحها مع ترك باب الاجتهاد مفتوحا لأفراد ومؤسسات وفعاليات تُطلق مبادراتها في طول البلاد وعرضها. ونفترض أن نجاحنا في هذا التحدي مرتبط، إلى حدّ كبير، في تحرير اللغة من إسار ما ألفناه أحيانا من عادات وعصبيات وجمود. ومن هنا ارتباط إطلاق اللغة من إسارها برغبتنا الأساسية كجماعة في تحرير مجتمعنا وضمان نموه وتطوره بشكل طبيعي في مكانه التاريخي.

وجهتنا

لأننا معنيون كأقلية وطن أصلا نية بلغتنا وخصوصيتنا القومية وحقوقنا الثقافية، ولأننا مقدمون بإرادة واعية على الخوض في هذا الحقل الذي تأخر العمل فيه، فإننا نتحمل، كمجتمع بأفراده ومؤسساته، القسط الأكبر من مسؤولية التخطيط والعمل وتوفير الموارد اللازمة لإدارة اللغة العربية كلغة حيّة ونابضة لها وجودها وبقاؤها على الرغم من تحديات العبرنة والعولمة والازدواجية بين محكية ومعيارية.

أما وإن التصور المفصل الذي وضعناه يشكّل تفكيكا لموضوعة اللغة العربية، فهو في مؤداه رؤيا لغوية نستشرف لها تطبيقات عملية سعيًا إلى تغيير الواقع اللغوي لجهة تطوير علاقتنا بلغتنا وثقافتنا وتطويرهما حيزًا مفتوحًا للحراك والنمو. وهي تطبيقات متنوعة متعددة المستويات تشكّل مجتمعةً سلسلة من الأفعال والممارسات والمبادرات الجمعية والفردية المعنية باللغة ومكانتها في حياتنا اليومية.

أما وجهتنا، فهي الاصطلاح على ثلاثة محاور عمل تتأسس عليها برامج التدخّل وتطبيقاتها المختلفة وهي:

المحور الأول – النهوض باللغة العربية المعيارية في مجتمعنا وتعزيز مواقف العرب الفلسطينيين الإيجابية تجاهها كلغة حداثيّة قادرة على التطور والنمو بما يتّسع لتحولات الهوية والحياة والمعارف العلمية. ونفترض أن ثقتنا بلغتنا

وإنصافنا لها ضروريان لتطوير ممارسات ومسلكتيات لغوية تكون اللغة في صلبها. نقول هذا مُدركين أن الواقع اللغوي الراهن ارتسم كمحصلة توجّه عام خفيّ أو مُعلن إلى لغتنا العربية كلغة غير عملية أو حتى كعبء. بمعنى، أنه ينبغي رفع مكانة اللغة وتغيير صورتها في أعين مجتمعنا كجزء من جهد أشمل لتغيير تمثيلاتها الراهنة أو الموروثة في السياق العام. من هنا، توجّب إقناع أهلنا بالعزوف عن حصر التعامل مع لغتنا بين قطبين، تهميشها كلغة زائدة غير ذات جدوى أو تحويلها إلى جزء من ماضٍ هو مصدر فخر واعتزاز لفظي ليس إلا. فلغتنا - يجب أن تكون حاضرنا ومستقبلنا، أيضاً، منضفرة في هويتنا ووجودنا كمكوّن حيوي فاعل ومتحوّل.

على مستوى بُنية اللغة العربية الداخلية، نفترض أن العلاقة بين اللغة العربية المحكية وتلك المعيارية علاقة تكاملية تُغني إحداهما الأخرى وتحاورها في تداخل وتقاطع يُنتجان حيزاً لغوياً رحباً يتّسع لهذه وتلك. ومهما يكن، فهما ليستا في صراع ونقترح عدم زجهما في مفاضلة قد ترفع مكانة واحدة على حساب الأخرى. ونجدنا معنيين بحفظ الخصوصية التي تجسدها اللغة المحكية ضمن وجود جمعي تشكّل اللغة المعيارية بمعناها المكتّف قوامه الأساسي. بناءً عليه، نحفظ لبنات وأبناء مجتمعنا حق استخدام لغتهم المحكية أو المعيارية وفق ما يروونه مناسباً متجاوزين سؤال الازدواجية نحو شرعية إتقانها واستعمالها وفق مقتضيات الحياة وضروراتها وضمن تنوّع لغوي في حدود اللغة العربية ذاتها.

المحور الثاني - إقناع مجتمع الأكثرية اليهودية من خلال الدولة ومؤسسات الحكم المركزي والمحلي على السواء، بضرورة مساواة مكانة اللغة العربية

وجهتنا

لمكانة اللغة العربية، في الحيز العام. وهو ما يستدعي مواصلة العمل مقابل مؤسسات الدولة الرسمية والأكاديمية على رفع مكانة اللغة العربية وزيادة حضورها كلغة رسمية لا تقل في مكانتها عن اللغة العربية في كل مستوياتها. ونشير بارتياح إلى الجهد الذي بذله مجتمعنا ومؤسساته في هذا الباب، حتى الآن، مؤكّدين وجوب مواصلة الضغط على الدولة من خلال اعتماد الوسائل السياسية لتحقيق المساواة للغة العربية كجزء من معركة مجتمعنا من أجل المساواة الجوهرية الكاملة. ويندرج الشأن اللغوي في العادة ضمن الحقوق القومية والثقافية التي تسعى المجموعات القومية إلى إحقاقها في إطار سعيها إلى حفظ هويتها ووجودها والحيلولة دون الذوبان والاضمحلال ضمن ثقافة الأكثرية المهيمنة وأمام ضغوطاتها. من هنا، أهمية ألا تغيب الحقوق اللغوية، كأبرز الحقوق الجمعية، عن جدول أعمال مجتمعنا وهيئاته في علاقته بالدولة ومؤسساتها. ونشير إلى وجوب إيلاء اهتمام مكثّف بالحقوق الثقافية وبضمنها مسألة اللغة العربية في سعينا إلى ممارسة العيش الحرّ الكريم كأقلية قومية لها امتداد قومي وثقافي وتاريخي في هذا المكان.

المحور الثالث - إعادة بناء سياسات تدريس اللغة العربية وآدابها والثقافة العربية بأسرها وفق ما أشرنا إليه في تصوّرنا كلغة هوية وانتماء وتواصل، وكوسيلة للإبداع الثقافي والعلمي. ونؤكّد هنا دور المؤسسات التعليمية الهام على كل مراحلها في تطوير اللغة ومكانتها والعلاقة بها كونها أهم مؤسسات الجتمعة بما فيها اللغوية. ونرى للمؤسسات الأكاديمية أو شبه الأكاديمية الرسمية والأهلية، لا سيما العربية منها، أو تلك التي تُعنى بالأبحاث والدراسات، دورا أساسيا في تطوير سياسات تعليمية لغوية جديدة تصبّ في الجهد المجتمعي العام لإدارة اللغة العربية لجهة تمكينها حيزًا مفتوحا

للحراك ولغة حيوية فاعلة متفاعلة. وندرك أن وجوب إعادة النظر في تدريس اللغة العربية وآدابها يستتبعه تغييرات واسعة وجذرية في المضامين والمواد والكتب التدريسية، وتدقيق فرضيات العمل المعتمدة، واستحداث طرائق تدريس جديدة وإعداد مدرّسي اللغة إعداداً جديداً.

مشروع لغوي كهذا يمتدّ على طول حياتنا وعرضها ويستدعي جهد عدد كبير من المؤسسات والجهات. وهو ما يحتمّ التنسيق والتعاون والشراكات، ولو في حدود الالتزام بخطوط عامة كما وردت في تصورنا اللغوي. التنسيق والتعاون لازمان لنا كشرط تمهيدي لنجاح عملية تدخلنا لتغيير الواقع اللغوي بالروح المشار إليها آنفاً. ومن هنا دعوتنا جميع الجهات الرسمية والأهلية إلى الإسهام بقسطها في هذا المشروع الحيوي الذي يشكّل تمكينا لمجتمعنا ولغتنا وينطوي على إغناء الهوية والثقافة العربية والعامة في البلاد. ونؤكّد أن الباب مفتوح للاجتهاد والمبادرة حتى في مستوى نقد تصورنا المطروح للنقاش العام. وكلنا أمل أن هناك من سيلبي دعوتنا ويباشر في إضافة ما لديه على ما أنجزناه هنا.

1

منطلقات

اللغة العربية هي لغة أم، ولغة قومية وثقافية للعرب الفلسطينيين في إسرائيل، وهي أحد الروابط الهامة مع الشعب الفلسطيني والأمّتين، العربية والإسلامية، كونها لغة العرب ولغة القرآن الكريم. واللغة في منتهاها هي وجود الجماعة الناطقة بها، بتاريخها وحاضرها ومُستقبلها. فهي الحياة اليومية بكل أفعالها، وهي العقيدة والفكرة ومنظومة القيم. وهي الهوية بكل أبعادها. فيها تصوّر الجماعة لذاتها وللعالم ومعاييرها وأحكامها وتطلعاتها. هي إذن، هذا الحيز الذي تعيش ضمنه الجماعة وتحقق في رحابه حراكها كجماعة قومية ذات خصوصية ثقافية.

ومع هذا فإننا على إدراك تام للبيئة اللغوية - الاجتماعية - السياسية التي نعيش وسطها، ومركزية اللغتين العبرية والإنجليزية فيها، الأولى للتواصل والحراك الاجتماعي، والثانية كلغة عالمية. في سياق كهذا نريد لأبنائنا إجادة لغتهم والتمكّن منها وجعلها حيزا للحراك يعيشون ويُنتجون بها. ونريدهم في الوقت نفسه أن يكونوا متعددي اللغات، قادرين على التواصل مع العالم والتحدث بلغته.

في سياقنا الراهن، ولأسباب عديدة (سنأتي على ذكرها لاحقا)، لم تنهض اللغة العربية بالوظائف المتوقّعة منها إلى اليوم كلغة أقلية وطن أصلانية لها الحق في المحافظة على هويتها بأبعادها وبمستوياتها المتعددة في مجالات الحياة

المختلفة. وقد تطورت الأمور بحيث صارت اللغة العربية ثانوية أو محدودة الاستعمال لدى الدولة ومؤسساتها ولدينا، نحن أصحابها، بينما العبرية هي اللغة المهيمنة.

التحديات أمام اللغة العربية كبيرة جدًا وثمة حاجة ملحة لمواجهتها وذلك لمنحها المكانة التي تستحقها كلغة مجموعة أصلانية، ودرء انحسارها بين العرب الفلسطينيين في الدولة، حتى تنهض بالحمل الثقافي على ما يعنيه من لغة وذاكرة وإنتاج روحي وفني وتراث وعلاقة بالمكان وبالزمان.

لا نريد أن يظلّ تعاملنا مع لغتنا محصورا في كونها جميلة وغنية بالمفردات فقط، ولا نريد أن نكون رومانسيين في التعامل معها والتغني بها وبما كانته في الماضي الجيد. بل نريدها حيوية قادرة على القيام بجميع الوظائف المتوقعة منها دون اللجوء للغات أجنبية في كل شاردة وواردة. فنهوض أي مجتمع مرتبط بنهضته اللغوية، أيضا. ولا يمكن للأمة أن تحدث التغيير في واقعها ما لم تتخطأ وهنها اللغوي. لا نستطيع أن ننتج العلوم ونبدع بها ما لم تصلح لغتنا للقيام بأدوارها الاجتماعية المتعدّدة، ومن ضمنها، دورها في احتواء المعارف العلمية. ولا تستطيع الجماعة الثقافية أن تُعيد إنتاج ذاتها وثقافتها وفنها وهويتها إلا من خلال لغتها. وهي اللازمة لحراك الأفراد وتحقيقهم ذواتهم كمنتمين للجماعة وثقافتها.

2

خلفية تاريخية

مرت فلسطين التاريخية بالكثير من التحولات الجيو - سياسية، وانعكس ذلك على المشهد اللغوي والثقافي فيها (أمارة، 2003). فقد انتشرت في مساحتها الكثير من الثقافات واللغات عبر تاريخها. إلا أن فلسطين صارت، بمشهدا العام عربية اللغة والثقافة¹، بعد الفتح الإسلامي، رغم وجود العديد من اللغات والثقافات في محيطها.

أعقب نهاية الحكم العثماني في فلسطين العام 1917، واحتلال القوات البريطانية، وبداية الانتداب عام 1920، تغييرات بعيدة المدى في جميع نواحي الحياة، ومن ضمنها المشهد اللغوي. فقد عزز الانتداب البريطاني في فلسطين مكانة اللغة العبرية التي تمّ إحيائها آنذاك لغةً للمجتمع اليهودي واعترف بها لغةً رسميةً إلى جانب اللغتين العربية والإنجليزية (أنظر أمارة 2002؛ أمارة ومرعي 2004؛ سبان وأمارة 2002).

أما التغيير الأكبر أثرًا على المشهد اللغوي في فلسطين فقد حصل منذ النكبة. إذ أن السيادة اليهودية ضمن دولة إسرائيل، قلبت المشهد اللغوي. فظهور العبرية تحوّل إلى هيمنة شبه تامة بوصفها لغة التداول والإدارة والمعاملات والحياة بكل مستوياتها.

بعد إنشاء دولة إسرائيل، عاش العرب الفلسطينيون في إسرائيل كأقلية معزولة، ماديًا واجتماعيًا وثقافيًا، عن العالم العربي المجاور. وكان لهذا

الواقع تأثير كبير على بلورة هويتهم القومية والدينية والثقافية. وقد ساهم الواقع الجديد في خلق أزمة هوية لدى الفلسطينيين في إسرائيل الذين انطوت هويتهم على تركيب وتناقض داخليين. ظلّ العرب الفلسطينيون في إسرائيل مرتبطين وجدانيا وثقافيا وقوميا بالعالم العربي وبالشعب الفلسطيني، لكنهم أصبحوا مواطنين في دولة إسرائيل. وقد ترسخ هذا التناقض في داخل كل عربي فلسطيني حاول أن يتعامل مع هذا الواقع في الحياة اليومية. فالمجتمع العربي الفلسطيني يعيش في صراع مع المؤسسة الإسرائيلية الحاكمة والأغلبية اليهودية المهيمنة في إسرائيل في مسألتين جوهريتين: الأولى: جوهر إسرائيل وتعريفها لذاتها بأنها دولة يهودية - صهيونية وديمقراطية وذات تطلعات تتناسب وهذا التعريف، وانعكاس ذلك على مكانة العرب - الفلسطينيين المدنية والقومية في إسرائيل. والثانية: هي السياق الواسع للعلاقات العربية - اليهودية في ظل الصراع العربي - الإسرائيلي (أمارة، 2006).

الواقع السياسي الذي نشأ بعد عام 1948، والذي تحوّل فيه العرب الفلسطينيون إلى أقلية مهمّشة في إسرائيل، ولّد سؤالاً ملحاً حول مدى قدرتهم على الحفاظ على اللغة العربية، كلغة أم، لغة آبائهم وأجدادهم، لغة تاريخهم وثقافتهم ودينهم وقوميتهم. نقول سؤالاً ملحاً في ضوء حقيقة أن المجتمع الفلسطيني في حينه كان مجتمعا ريفيا عانى من غياب مفاجئ للحاضرة المدنية الفلسطينية حيث الثقافة والإبداع الأدبي والعلمي، وحيث النخبة التي كان من الممكن أن تحمل الهم اللغوي في ظل تحديات العبرية وما تمثّله من ثقافة وافدة ومهيمنة. فإذا كان الجواب إيجابياً، فإلى أيّ مدى وفي أيّ مجالات كانوا على قدر التحدي؟ أما إذا كان الجواب بالسلب، فما هو تأثير ذلك على المشهد اللغوي الفلسطيني والهوية الوطنية؟

خلفية تاريخية

نطرح هذه الأسئلة مُدركين تماما أننا لا نتحدث عن حالة عادية للعلاقات بين أغلبية وأقلية وما يترتب عن ذلك، كما في حالات سياسية أخرى في العالم، بل نتحدث عن **أقلية وطن**، تختلف مع الأغلبية اليهودية حول الأرض والحيّز والموارد وحول الرواية التاريخية- وهو ما يُنتج خصوصية لوضعية المجتمع الفلسطيني في إسرائيل الذي يُلفي نفسه في صراع مع الدولة، ليس على مطالب مادية أو مطلبية فحسب، وإنما هو صراع **على الهوية** عموما، والهوية الثقافية بوجه الخصوص، وفي أساسها اللغة العربية. واللغة هنا جزء من ماهية الثقافة العربية وليس أداة لنقلها أو إنتاجها فقط. من هنا، تأتي أهمية اللغة العربية كونها أحد المؤشرات والمركبات الهامة في الهوية العربية - الفلسطينية.

نبحث فيما يلي السياق الذي تعيش فيه اللغة العربية على مستوى الدولة وعربيا، محاولين طرح إطار رؤيوي لإمكانية تطوّر اللغة العربية وتطويرها من خلال اقتراح برامج وتدابير لإدارة اللغة ووضع سياسات لغوية تزيد من قدرة اللغة العربية على أداء وظائفها في الشرط السياسي - الثقافي المشار إليه آنفا.

سياقات اللغة العربية

وتحدياتها عربيا

اللغة العربية أكثر لغات المجموعة السامية من حيث المتحدثين، وإحدى أكثر اللغات انتشارا في العالم. ينطق بها أكثر من 422 مليون نسمة كلغة أم، وينطق بها قرابة العدد نفسه من المسلمين غير العرب كلغة ثانية. العربية لغة رسمية في كل دول الوطن العربي إضافة إلى كونها لغة رسمية في تشاد وإريتريا وإسرائيل. هذا إضافة إلى كونها إحدى اللغات الست الرسمية في هيئة الأمم المتحدة.²

للغة العربية مكانتها وأهميتها من الناحية الدينية بوصفها لغة القرآن والموروث المقدس الإسلامي منذ ظهور الإسلام في القرن السابع ميلادي.³ وهذا بالذات ما أكسبها صفة قدسية عبّرت عنها الآيات القرآنية الكريمة التي أشارت إلى كون اللغة العربية هي اللغة التي نزل بها القرآن الكريم.⁴

كما أن اللغة العربية هي من أهم العوامل التي وحدت العرب في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، من خلال النهضة القومية التي تمثلت بثلة من أساطين القومية العربية: رفاعة الطهطاوي، جورج البستاني، ساطع الحصري، عبد الرحمن الكواكبي، نجيب العزّوري وجورج أنطونيوس وغيرهم. فإذا توقّفنا عند مطالع القومية العربية، مثل مؤتمر القومية العربية

في باريس في العام 1913، وميثاق دمشق في العام 1915، الذي تحدث عن طموح الحركات القومية في توحيد البلاد العربية، ومن ثم الثورة العربية بزعامة الشريف حسين في العام 1916، فقد ارتبطت كل هذه الأحداث ارتباطا عضويا باللغة العربيّة. فبعد استقلال الدول العربية، بدأت عملية التعريب، وخاصة في المغرب العربي، حيث سعت الحكومات الجديدة التي قامت بعد التحرير إلى إعادة إنتاج المجتمع في رحاب اللغة العربية وبها كجوهر للهوية القومية- الثقافية للمجتمع الخارج لتوّه من هيمنة الاستعمار (أنظر (Suleiman, 2003, 2004).

رغم ما قيل سابقا عن حيوية اللغة العربية وأهميتها في عملية بناء المجتمعات العربية، إلا أن التحديات أمامها كبيرة والمعوقات أمام نمائها كثيرة ومتنوّعة. فهناك مسألة الازدواجية بين لغة معيارية وأخرى محكية، وحقيقة كون اللهجات المحلية لغة الحياة اليومية للناس، الأمر الذي يحدّ من تحوّل اللغة المعيارية إلى لغة المجتمع أو الأمة. وهناك مسألة التحديث وتخلّف اللغة العربية عن احتواء المعارف الإنسانية المستجدة ضمن الحداثة وما بعد الحداثة، وفي إطار نهضة العلوم وثورة التكنولوجيا. وهناك المواجهة الحضارية للغوية المتسارعة كجزء من سيرورة العولمة أو كجزء من الإرث الاستعماري وتأثير لغاته على العالم العربي (للتفاصيل، أنظر أمارة 2010أ).

التحديات الأنفة الذكر تؤثر على حيوية اللغة العربية والوظائف التي تقوم بها لأن اللغة ليست وسيلة اتصال فحسب، بل هي حاضنة الثقافة والتاريخ والذاكرة الجماعية والهوية أيضا. هذا، فيما اللغات الأجنبية، وخاصة الانجليزية والفرنسية، تفرض سلطانها على العالم العربي كلغات العلم

والتكنولوجيا والمعارف الجديدة. ومن هنا تلك الأصوات التي تُسمع في العالم العربي والداعية إلى ترك اللغة المعيارية لصالح اللغة المحكية أو أي لغة أجنبية متاحة، لأن اللغة العربية في راهنها، من وجهة نظرهم، لا تفي بمتطلبات العصر. ويذهب البعض أبعد من ذلك بادعاء أن اللغة العربية تعاني قصورا جديا مقابل اللغات الأخرى وأنها متخلفة تماما عن احتواء "العالم الجديد". هذا في حين أن اللغة العربية لا تزال المكوّن الأساس للهوية القوميّة للمجتمعات العربيّة، واللغة الرسمية الوحيدة في معظم الدول العربية التي تمنحها المكانة الأولى على الرغم من التحديث والاقتراض اللغوي. ولا تزال اللغة العربية حاضرة في التواصل بين الدول العربية، من خلال الجامعة العربية التي تأسست في العام 1945 على قاعدة أن اللغة العربية هي رابط قومي وثقافي أساسي للدول العربيّة.

قد يكون الوهن اللغوي في الوطن العربي محصّلة للوهن السياسي العام. فالهوية العربية الإقليمية والقطرية على السواء تعاني من إشكالات جدية تتجسّد في سمة التجزئة، وتغلّب المكونات التقليدية الضيقة للهوية كالطائفة والدين والقبيلة والإقليم والقطر على المكونات الجامعة، كاللغة والقومية والثقافة والتاريخ. ودائما ما ينعكس حال الهوية، وهو تجسيد لحالة سياسية ثقافية، على حال اللغة وسياساتها لجهة الركود والضعف أمام اللغات المنافسة. فقد انتشرت مجامع اللغة العربية والمؤسسات التي تُعنى بها دون أن تستطيع هذه المؤسسات والمجامع إنتاج سياسات موحدة أو متفق عليها بخصوص علاقة المجتمعات العربية بلغتها أو حتى في مستوى المفهوم القاموسي للغة واستحداث مصطلحات وإدراجها ضمن القاموس اللغوي العربي. وانعكس ذلك في وسائل الإعلام العربية، أيضا. فكثيرة هي الفضائيات التي تعتمد

اللهجة المحلية بينما قلة منها مثل قناتي "العربية" و "الجزيرة" تعتمدان العربية المعيارية على مدار الساعة، وهي ظاهرة جديدة على المشهد العربي.⁵

3.1 مسائل تلقي بظلالها على اللغة العربية

عند الحديث عن اللغة العربية ينبري ذوو الغيرة عليها بالدفاع عنها والتغني بأمجادها وجماليتها وخصائصها الفريدة، وفصاحة التعبير بها، وغناها بالمفردات المترادفة وبأنها لغة الضاد وغيره الكثير. إلا أن هذا التوجه لا يعطي حلا للتحديات التي تواجه اللغة العربية. فاللغة لا تنهض بحديث الحنين إلى عصر ذهبي متخيل ولا بحديث الأمانى، وإنما بممارسات مدفوعة بأيديولوجيات وسياسات تربوية واضحة، كما سنبين لاحقا.

صحيح أن لغتنا العربية لغة جميلة فيها روعة الأسلوب ومهارة التعبير وفن السبك، وأننا نفترض إمكانية تحويلها إلى لغة عصرية تنهض بكل الوظائف المرجوة، إلا أن واقع اللغة العربية في عالمنا المعاصر ينبغي أن يخضع للنقد من زوايا ومناهج مختلفة من أجل تحريكها وتغييرها عما هي عليه اليوم. أن الأوان للتأسيس لحقبة جديدة من وضع السياسات وبناء الاستراتيجيات والآليات والبرامج لحماية اللغة العربية وتطويرها من خلال توجهات منهجية وعلمية تطبيقية تستفيد من تجارب الثقافات الأخرى ونجاحاتها ومما أنتجه الفكر الإنساني من معارف جديدة.

فالأسئلة المطروحة اليوم على متخذي القرارات كثيرة ومركبة.⁶ ومن جملتها:

- كيف نجعل من اللغة العربية لغة الحياة على مجالاتها كافة، لغة قادرة على القيام بكل الوظائف المرجوة مثل التواصل والتعليم وتدريب العلوم وتحقيق النهوض والحدثة؟ ما هي الأدوات والوسائل المطلوبة لذلك؟

- وهل الظروف في عالمنا العربي تُتيح مثل هذا التغيير؟
- هل فشلت عملية التعريب في العالم العربي؟ هل هناك رصد لنجاحاتها وإخفاقاتها؟ هل السبل متاحة والظروف مواتية اليوم لعملية تعريب أكثر نجاعة من ذي قبل؟
- هل هناك مفهوم شمولي لإدارة اللغة العربية؟ إذا لم يكن، هل الظروف والوسائل المعتمدة تمكننا من بنائه؟
- هل الأرضية قابلة لتغيير جذري في التعامل مع تعليم اللغة العربية بأساليب حديثة، مختلفة وشيقة؟ أم ان الفكر المحافظ ما زال قادرا على إفشال أية محاولة إصلاحية؟
- كيف نجعل من اللغات الأجنبية، في عصر العولمة، لغات لغايات محددة وواضحة وجعل اللغة العربية هي لغة العربي وحيّزه؟
- كيف لنا أن نجعل العربية لغة حاضرة في عالم ثورة المعلومات، لها حضور في العلوم المختلفة والفضائيات، والحاسوب لبناء قاعدة معلوماتية بالعربية؟ ما هي الاستراتيجيات والآليات المطلوبة لذلك؟
- هل العالم العربي قادر على تطوير تجاربه المشتركة في الأقطار العربية المختلفة التي عُنيت بتطوير اللغة العربية؟ هل هو قادر على تجميع الطاقات وإقامة أطر التعاون والتنسيق؟
- هل بالإمكان بناء مشروع عربي قومي مشترك بمقدوره التصدي لنزعات إحلال العاميات محل العربية الفصيحة؟
- هل بالإمكان، بالإضافة للعامل الديني، دفع العربية قدما بدوافع قومية

ونفعية وجعلها لغة الحياة اليومية؟

- هل يمكن المصالحة بين اللهجات - اللغة العامية مع اللغة الفصحى من أجل التصدي للتحديات الخارجية؟
- ما هي الوسائل والموارد التي نحتاجها لكي نعزز اللغة العربية؟ وكيف يمكن تجنيد المؤسسات للقيام بدور أكبر فعالية؟

لا شك أن الأسئلة المطروحة متداخلة ومرتبطة تضع تحديات جساما أمام المجتمعات العربية. وهي تحديات لا يُمكننا مواجهتها بالتمني والحنين، ولا بحسن النوايا، وإنما نحن بحاجة إلى تطوير توجه رؤيوي شامل يقوم على قواعد نظرية منهجية واستراتيجيات وآليات عمل واضحة. وهو ما ينبغي أن يسبقه التعاون والتنسيق بين المؤسسات العربية كافة، الحكومية منها والأكاديمية ومجامع اللغة ومؤسسات المجتمع المدني والأحزاب السياسية والفعاليات الاقتصادية والشعبية. اللغة مشروع وطني. والتعامل معها يجب أن يكون على هذا المستوى.

نشهد تعاظما لهذه التحديات في عصر العولمة مع هيمنة اللغة الانجليزية وحضورها البارز في كثير من مجالات الحياة في العالم. فهي لغة العالم بأسره وفي المجالات كافة، في العلوم والتجارة والصناعة والاقتصاد عموما، وهي لغة الطب والمواصلات، لا سيما الطيران والاتصالات ولغة الحاسوبية والمعلوماتية، ولغة الفضاء والبحث العلمي، واللغة الرئيسية في مختلف المنظمات الدولية (Crystal, 2003). ومن هنا فالإنجليزية تضع تحدياً أمام اللغات والهويات في كل أنحاء العالم، وليس أمام العربية وحدها. لكن إضافة إلى التحدي الذي تمثله الإنجليزية أمام المجتمعات العربية فإن هذه المجتمعات مشغولة بالإرث

اللغوي للحقبة الاستعمارية. مثل هذه التحديات لا يمكن مواجهتها إلا عن طريق سياسات وطنية وتعاون عربي.

هناك إجماع على حقيقة أنه لم يتم أي تحديث يُذكر لبنية اللغة العربية وكتابتها. ولم يتم تعديل قواميسها واستحداث مصطلحات وتراكيب جديدة مواكبة لتطوّرات علاقتها بالعصر، بدلالة أنها تعدم المقابل لمعظم المصطلحات الحديثة والقدرة على التحول إلى لغة حديثة. وعليه، اللغة العربية ليست لغة العلوم والمعارف الجديدة. العلوم الدينية هي الوحيدة التي تنتج بالعربية. الفضائيات العربية تزرع بلغة الدين والموروث المقدّس، وأحاديث العقاب والثواب والآخرة مهيمنة في كثير من برامجها. في حين أن مهمة التحول والنهوض تستدعي ألا تقتصر استخدامات اللغة على هذا الجانب من حياة المجتمعات والأفراد لتصبح لغة الحياة اليومية بكل نواحيها. لكي يحدث هذا، هناك حاجة لمشاريع إنهاض العربية وملاءمتها للعصر. فالتعليم العربي عاجز على العموم عن تطوير اللغة العربية وعن إعداد المتعلّمين لدخول عصر العولمة فيما النصوص الرقمية باتت الأهم في عملية الإنتاج المعرفي الرقمية⁷. هذا، فيما العالم العربي يفتقد لمشروع فاعل يعتبر هذه التحديات أولوية قومية يتمّ مواجهتها ببرامج مدروسة.

مسألة الازدواجية في اللغة العربية بين معيارية ومحكية تشكل تحديا كبيرا. واعتُبرت مُعيقة لعمليات التعريب، وتزيد من المعدّلات العالية، أصلا، للأمية. وهناك مَنْ يذهب إلى القول أنها تُبقى على الأنظمة غير الديمقراطية.

تدلّ مثل هذه التوجهات على الصراع بين اللغة المحكية على لهجاتها وبين اللغة المعيارية وأن لا سبيل للمصالحة بينهما. لكننا يُمكن أن نرى في هذه

سياقات اللغة العربية وتحدياتها عربيا

الازدواجية على أنها تنوع لغوي مُثْرٍ إذا ما أجاد العربي لهجته المحلية التي تؤدي وظائف محددة واللغة المعيارية لوظائف أخرى.

شهدت المجتمعات العربية محاولات إصلاح لغوية من خلال مشاريع وسياسات مختلفة، لكنها باءت بالفشل في غالبيتها لأسباب دينية وقومية ونهج عربي محافظ وأيديولوجيات عجزت عن اللحاق بالحدثة واستيعاب تحولات التكنولوجيا والعصر (جبران 2009: 29).

4

العربية وتحدياتها في السياق الإسرائيلي

أوردنا فيما سبق، ولو بإيجاز، ما يؤشّر على تحديات اللغة العربية في السياق العربي العام لما لذلك من أثر على اللغة العربية في السياق الإسرائيلي الذي نقف عند خصائصه في هذا الفصل. ثمّ نطرح بعد ذلك الإطار الرؤيوي وخطوات عملية لإدارة اللغة.

نستعرض هنا المكانة القانونية-الاجتماعية للغة العربية في إسرائيل تمهيدا لوضع تصورات ومقترحات للنهوض بها وتطوير سياسات لإدارة اللغة ووظائفها على نحو يمكّنها ويمكّننا كأفراد وجماعة.

4.1 مكانة اللغة العربية في إسرائيل: التفاعل بين القانون والمجتمع

إن المكانة الرسمية للعربية في إسرائيل بعيدة عن الوضوح. فغالبا ما يبدأ الباحثون حديثهم عن مكانة اللغة العربية بالإشارة إلى المادة 82 من المرسوم الملكي في مجلس الحكم، من سنة 1922 حينما كانت البلاد في عهدة الانتداب البريطاني (لنداو 1987، كوبلفيتش 1992، سبولسكي 1994، سبولسكي وشوهامي 1999 أ، 1999 ب). ثم يستعرضون ما طرأ على مكانة اللغة بقرار

العربية وتحدياتها في السياق الإسرائيلي

محكمة العدل العليا من العام 2002 في الالتماس الذي رفعه مركز عدالة وجمعية حقوق المواطن إلى محكمة العدل العليا العام 1999 (محكمة العدل العليا، 99/4112، عدالة وجمعية حقوق المواطن ضد بلدية تل أبيب - يافا). بمعنى أن مكانة اللغة ممتدة بين هذين النصين مرورا بتوصيات المستشار القضائي للحكومة. وهي مجتمعة ومتراكمة أنتجت المكانة القانونية للغة العربية حتى الآن.

البند 82 من المرسوم الملكي في مجلس الحكم 1922، كما اشرنا، هو النقطة التي بدأت اللغة العربية فيها باكتساب مكانتها القانونية في إسرائيل بعد 1948. ينص البند -82 تحت العنوان الفرعي "اللغات الرسمية" على ما يلي:

جميع الأوامر والإعلانات الرسمية والاستمارات الرسمية التابعة للحكومة، وجميع الإعلانات الرسمية التابعة للسلطات المحلية والبلديات في المناطق التي سيتم تحديدها بناء على أمر المندوب السامي، سوف تنشر بالانجليزية، بالعربية وبالعبرية. سيتسنى في جميع الأنظمة التي سيضعها المندوب السامي توظيف اللغات الثلاث في الدوائر الحكومية وفي المحاكم.

وقد تبنى أمر تدابير السلطة والقضاء، 1948 - وهو التشريع الذي ينص على التدابير الأولية في الدولة بُعيد قيامها- التشريعات الانتدابية التي كانت سارية المفعول عام 1948، كجزء من القانون الإسرائيلي، مع إدخال بعض التعديلات التشريعية الطفيفة هنا وهناك. وتمّ، في إطار هذه التعديلات، إلغاء المادة 15 (ب) لأمر تدابير السلطة والقضاء، بما يقضي بإلغاء جميع

التعليمات القانونية الملزمة باستخدام اللغة الانجليزية. عبّرت هذه الخطوة عن رغبة المشرّع الإسرائيلي على عدم المس بمكانة اللغة العربية كـ " لغة رسمية" (كريتشمير، 1981,2002; Tabory). هذا يعني أن البند 82 المذكور صار تشريعا "عاديا"، يتمتع بنفس المكانة المعيارية كأى تشريع رئيسي يقرّه المشرع الإسرائيلي (الكنيست).

من هنا فان تحليل مكانة اللغة العربية القانونية يركّز - بقدر كبير - على شرح ودلالة البند 82 من المرسوم الملكي. يبدو، للوهلة الأولى، أن الأقلية العربية هنا تملك، بموجب القانون المشار إليه، أكثر من مجرد الحرية في استخدام لغتها. بمعنى، أن هذا القانون، كما أقرّه الانتداب البريطاني في حينه، يفرض على السلطة واجب إنتاج واقع سيادي اجتماعي سياسي ثنائي اللغة (جبارين، 2008). وهو يعني أن تتخذ الدولة ومؤسساتها الإجراءات اللازمة لتثبيت التساوي والتكافؤ في مكانة اللغتين الرسميتين، العبرية والعربية في معاملاتهما وفي الاتصال بمواطنيها وضمان حراك اجتماعي كامل باللغتين. ويمكن الادعاء أن هذا التوجه يحظى بدعم من روح وثيقة الإعلان عن قيام دولة إسرائيل وحرفيتها فيما يتصل بوجود " ضمان حرية المعتقد والثقافة والضمير واللغة". لكن الواقع على الأرض شهد طيلة عقود الدولة اتساع الهوة بين المكانة الرسمية للغة العربية وبين مكانتها السياسية الاجتماعية. وظلّت العبرية اللغة الرسمية التي تحظى بدعم الدولة وسياسات تفضيلها على اللغة العربية.

وقد برزت هيمنة العبرية، أيضا، في توجهات المحكمة العليا التي بحثت الموضوع عدة مرات بمبادرة من مؤسسات عربية. فرغم ميلها إلى قبول

سلسلة من الالتماسات العربية بشأن مكانة اللغة العربية واستخدامها إلا أنها كانت تفعل ذلك بعد التأكيد على مركزية اللغة العبرية باعتبارها لغة السيادة و"روح إسرائيل". وكانت المحصلة أنه على الرغم من تدخل المحكمة العليا وإصدارها سلسلة من القرارات المساندة لجهود رفع مكانة اللغة العربية في إسرائيل، إلا أن هذه القرارات المدعومة غالبا من المستشار القضائي للحكومة لم تستطع حتى الآن أن تخلق واقعا ثنائيا للغة في البلاد. وهو ما يعني هيمنة شبه مطلقة للغة العبرية في الحيز العام بفعل سياسات حكومية واضحة. فيما يلي مؤشرات على تدني مكانة اللغة العربية في الحياة العامة مقابل اللغة العبرية كجزء من سياسات الدولة وقراراتها:

1. قوانين الدولة وتشريعاتها قد تصدر باللغة العربية، أيضا. إلا أن ذلك يتم بتأخير شهور وأكثر. لكن المسألة التي تعكس الفارق بين اللغتين هو ما ينصّ عليه قانون التفسير في ناحيتين. أن سريان مفعول القانون الجديد غير مشروط في نشره باللغتين بل في السجلات فحسب. أي يكفي أن يُنشر بالعبرية ليصبح ساري المفعول! وكون قانون تفسير القوانين - 1981 ينصّ على أن النص القانوني الملزم، هو ذاك الذي نُشر باللغة العبرية دون غيرها. بمعنى، أن وجود القانون باللغة العربية يظلّ إسقاط واجب لأن النص العبري هو الملزم لدى التفسير، أي أمام القضاء!

2. من غير الممكن حتى الآن التوجّه إلى مؤسسات الحكم باللغة العربية لأن هذه المؤسسات في مستواها القطري غير جاهزة ولا قادرة على تصريف المعاملات باللغة العربية. غالبية الاستثمارات اللازمة

- لتعاملات الرسمية لا تظهر بصيغتها العربية (سبان وأمارة، 2002).
3. لا يُمكن للمواطن العربي حتى الآن التقاضي أمام هيئات القضاء الرسمية باللغة العربية. أما خدمات الترجمة إلى العربية في المحاكم فلا تزال محدودة لحالات يوجبها القانون من منطلق حماية الحق للمتهم أو للشاهد.
4. الإعلانات الرسمية للحكومة لا تزال بغالبيتها بالعبرية وحدها. كذلك النص على اللافتات في المدن والبلدات اليهودية. يحدث أن يُضاف إلى اللغة العبرية النص بالإنجليزية وليس بالعربية. وجاء تنفيذ قرار العليا بشأن قضية عدالة وجمعية حقوق المواطن المشار إليها من العام 2002، القاضي بإضافة العربية إلى اللافتات في المدن المختلطة، اليهودية- العربية، جزئيا وناقصا، لا سيما استعمال الأحرف العربية لكتابة الاسم العبري للمكان دون كتابة الأسم العربي الأصلي.
5. لا تزال المحاكم متساهلة نوعا ما في فرض القانون في الحالات التي يوجب فيها استعمال اللغة العربية. يحصل الملتمس في حالات كهذه على العون الذي يريده فقط إذا استطاع أن يثبت أن عدم النشر باللغة العربية قد سبب له ضررا. ومن الصعب في معظم الحالات إثبات ذلك في واقع ثنائي اللغة يعيشه المواطنون العرب الذين يجدون أنفسهم ملزمين بحكم التبعية اللغوية بإجادة اللغة العبرية.
6. صحيح أن العملية التربوية في المجتمع العربي تتم باللغة العربية، إلا أن الحق في استخدامها لا ينسحب على المضامين والتعبير عن الخصوصية الثقافية والتطلعات والتاريخ والانتماء والرواية وهي

كلها تحت سيطرة وزارة المعارف وإن جاءت في كتب عربية. كما أن المجتمع العربي لم يحظَ إلا مؤخرًا (المؤسسة الأكاديمية الناصرة) بحقه في مؤسسة أكاديمية عربية في منطلقاتها وحيزها وفي كون اللغة العربية لغة التدريس فيها.

7. يظهر استمرار تراجع مكانة اللغة العربية في مستويات أخرى متنوعة لاسيما لدى أصحابها، أي المجتمع العربي نفسه. فلننظر إلى موقف الطلاب العرب من تعليم اللغة العربية، كما يظهر من خلال تقدمهم لامتحانات البجروت (اجتياز المرحلة الثانوية) في اللغة العربية وآدابها. هذا الامتحان بالمستوى الأساسي 3 وحدات تعليم هو إلزامي في المدارس العربية، أما التعليم الموسَّع 4 أو 5 وحدات في اللغة العربية فلا يختاره غير قلة من الطلاب (تراوحت نسبهم من خمس إلى ثلث الطلاب خلال العقد الماضي (Amara & Mari, 2002)).

8. "المشهد اللغوي" في المدن والقرى العربية نفسها يعكس مكانتها في الدولة وفي الحيز العام العربي تحديدًا. وقد تبين أن اللغة العبرية حاضرة كليًا في اللافتات المحلية، بما فيها اللافتات التي تزدان بها واجهات المصالح التجارية المحلية. فقد تبين من مسوحات ميدانية أن أكثر من نصف اللافتات تضمنت مفردات عبرية، وظهرت اللغة العبرية في أكثر من ثلث اللافتات كلغة أولى (Ben-Rafael, Shohamy, Amara & Trumper - Hecht 2004, 2006)). وهو واقع يعكس تسرّب اللغة العبرية المهيمنة من الحيز العام القطري إلى الحيز العام المحلي، وهو تسرّب يثي بكون العمليات

التجارية في جزئها الأكبر تتم باللغة العبرية أو وفق ما تعنيه من أنماط وتمثيلات.

لقد أفضت التحولات اللغوية في إسرائيل إلى فرض واقع ثنائي اللغة على الأقلية العربية في حيزها هي، وحرّر الدولة ومؤسساتها من إنتاج واقع كهذا في الحيز العام. وهو أمر أنتج تبعية اقتصادية شبه تامة لدى المجتمع العربي للمجتمع اليهودي الذي عمّق بواسطة الدولة ومؤسساتها هيمنة اللغة العبرية وسوّدها. بدلالة أن الدولة ومؤسساتها دأبت على استعمال العبرية دون العربية في معاملاتها وفي رسم ملامح الحيز العام. وفي سعيها هذا إلى فرض أحادية لغوية دفعت المجتمع العربي دفعا إلى ثنائيته اللغوية. إلا أن هذه الثنائية، وإن بدت مكسبا وغنى لغويا، فقد شكلت عاملا هاما في إبقاء الوضع على حاله من حيث انحسار مكانة اللغة العربية أمام تمدد مكانة اللغة العبرية.

إن مكانة اللغة العربية غير محمية بما فيه الكفاية لا في المستوى القانوني ولا في المستوى الشعبي. ومن هنا، الخوف من إمكانية تراجع مكانتها أكثر في ظلّ توجهات سياسية نازعة إلى تكريس الهوية اليهودية للدولة. وقد حصل أن طرحت جهات سياسية شطب اللغة العربية كلغة رسمية مرتين على الأقل. كان ذلك في العام 1999 عندما اقترح أحد أعضاء الكنيست من اليمين المتطرف تعديل البند 82 المشار إليه بحيث يتمّ الإبقاء على العبرية فقط لغة رسمية. وعادت عضوة كنيست من اليمين لتطرح الأمر ذاته في العام 2008 مع التسويغات ذاتها وهو تكريس يهودية الدولة عبر جعل اللغة العبرية اللغة الرسمية الوحيدة فيها. وهو تطور لم ينجح في المرتين، لكن ليس هناك أي ضمانات قانونية أو دستورية أو سياسية تمنع حصول ذلك في المستقبل خاصة

في ظل موجة من التشريعات المناهضة للمواطنين الفلسطينيين وحقوقهم كما هو حاصل منذ العام 2008.

إن ما استعرضناه في هذا الباب يُشير إلى الوضع غير المستقرّ للغة العربية في إسرائيل. وقد اتّضح أنه كلما اتسعت المطالبة العربية بتكريس مكانتها الرسمية وخلق واقع ثنائي اللغة على طول البلاد وعرضها، سعت قوى سياسية في المجتمع اليهودي لتجنب وضع كهذا. ويسير سعيها في اتجاهين، الأول، حصر هذه الثنائية في الحيز العام العربي - في التعليم العربي، في السلطة المحلية العربية، في الأسرة العربية - والثاني، في محاولة إلغاء ما هو قائم من مكانة للعربية كجزء من إرث الانتداب البريطاني الذي اعتبرها لغة رسمية، كجزء من تطوّر الواقع في إسرائيل لا سيما سلسلة من القرارات والتعليمات التي صدرت عن المحاكم وعن جهات قضائية كالمستشار القضائي للحكومة. وهكذا، فإن رسمية اللغة في البلاد مُشتقة من أصلانية الفلسطينيين وكونهم أصحاب الوطن الأصليين، وهو ما تترتب عليه بموجب القوانين والأعراف الدولية من حقوق قومية جماعية، في صلبها حقهم في صون لغتهم وهويتهم القومية وتطويرها بحرية، كما يؤكد ذلك الاعلان العالمي لحقوق الشعوب الأصلية من العام 2007.

في واقع الأمر، ليس فقط أنّ المؤسسة الحاكمة لم تحترم اللغة العربية كلغة رسمية، بل عملت بوضوح على طمسها وتشويهها، شأنها شأن سائر أركان الهوية القومية والوطنية للأقلية العربية وذاكرتها التاريخية وروايتها الجماعية. لكن أهمية المكانة الرسمية للغة العربية تكمن في كونها قاعدةً قانونية يمكن الارتكاز عليها في إنتاج حراك متصل باللغة وحمايتها لا سيما

أن المؤسسة لم تجرؤ حتى الآن على إلغاء هذه المكانة على نحو رسمي، فقط تجنبًا لنقد الرأي العام والهيئات الدولية.

نقول هذا في ظلّ كون إسرائيل دولة إثنوقراطية، تقوم في منطلقاتها وأساسها على ضمان أولوية للمجتمع اليهودي بما في ذلك لغته وثقافته، وفي ظلّ إجماع وطني إسرائيلي واسع يسعى إلى المحافظة على الهيمنة اليهودية في كل معانيها. في مثل هذه الحالة، نرجّح أن يظلّ موضوع مكانة اللغة العربية مطروحًا بإلحاح في مساحة العلاقة بين المجتمع العربي والدولة العبرية. وهو أمر سيحدث بمبادرة من المجتمعين اللذين يتواجهان على جبهات عديدة ومنها اللغة. فبينما يسعى المجتمع العربي إلى تكريس لغته الأم لغة رسمية وإلى جعلها مشروعًا للحراك الثقافي والأكاديمي والاقتصادي، بما يعني تطوير الدولة كدولة ثنائية اللغة والثقافة، سيسعى المجتمع اليهودي في جزء كبير منه إلى محاصرة اللغة العربية في حيزها العربي ومدّ هيمنة العبرية إلى كل موقع ممكن بوصف ذلك ضمانًا لسيطرة يهودية والتمتع بامتياز الريادة في كل شيء. تواجه العربية في إسرائيل العديد من التحديات، منها المشابهة للتحديات الموجودة في العالم العربي، وأخرى ذات خصوصيات محلية، نوجزها كالآتي:

التحدي الأول - أصبحت اللغة العربية في إسرائيل لغة أقلية بعدما كانت لغة أغلبية لقرون طويلة. هذا يعني أن الأقلية العربية بحاجة للأغلبية اليهودية في ميادين الحياة المختلفة، بما فيها اللغة، لكي يستطيع أبنائها المنافسة في الحيز العام وتحقيق الذات والحصول على قسطهم من الموارد المتاحة. فلغة الأغلبية اليهودية صارت لغة الحراك الاجتماعي وتحقيق الذات. وهذا ما أفضى إلى خفض مستوى مكانة اللغة العربية وتقليص استخداماتها لدى أصحابها

وفي ممارسات الدولة ومؤسساتها.

التحدي الثاني – صارت العبرية اللغة المهيمنة في الحيز العام. وبسبب اعتماد الأقلية على الأغلبية في معظم ميادين الحياة، فإن الحاجة للعبرية أصبحت كبيرة والكفاءة العالية فيها ضرورة ملحة وتأتي في أحيان كثيرة على حساب اللغة العربية.⁸ فمن ناحية، يرى العرب أن العبرية مهمة لوجودهم وبقائهم والحفاظ على هويتهم الجمعية، ومن الناحية الأخرى تستدعي التحديات الحياتية اليومية استخدام اللغة العبرية بكثافة. وهو ما ولد حالة من اللغة الهجينة التي تأتي على ألسنة المواطنين العرب خليطاً بين عربية وعبرية.

التحدي الثالث – هو العصرية والحداثة وما تعنيانه من تطور التكنولوجيا والعولمة. فالفلسطينيون من مواطني إسرائيل لا يتواصلون مع ثقافة مختلفة فحسب، وإنما يمرّون في سيرورة عصره ويواجهون تراجع التقاليد التي تربوا عليها. كما انه بإمكان الفرد، في عصر التطور التكنولوجي، خاصة في عصر الانترنت، إقامة صلات مع العديد من الأفراد من مجتمعات مختلفة ولعدة أهداف. لم يعد المجتمع القريب والدولة التي يعيش فيها الفرد هما الحدود الوحيدة لارتباطاته وتفاعله. بمقدوره أن يتواصل مع مجموعات افتراضية جديدة في نشاطات مختلفة تؤثر عليه وعلينا كمجموعات وكأفراد. العولمة التي تفرض نفسها على مختلف أنحاء العالم تؤثر على جوانب حياتنا، كما تؤثر على العمليات التي تحدث في العالم وعلى بلورة الهويات. ويمكن القول إن العولمة تضع تحديات على اللغة العربية ليس أقل من التحديات التي تضعها العُبرنة على العربية.

4.2 أبعاد من القانون وأقرب من الثقافة

إن المحكمة الإسرائيلية أقرت بوجود أبعاد ثقافية للغة في حياة الأقلية العربية في إسرائيل. فقد أقرت في قضية رام أن " تميز اللغة العربية مزدوج: أولاً، اللغة العربية هي لغة الأقلية الأكبر في إسرائيل، التي تعيش في إسرائيل من غابر الأيام، وهي لغة متصلة بخصائص ثقافية، تاريخية ودينية لمجموعة الأقلية العربية في إسرائيل"⁹ وهو موقف يتماشى مع سوسولوجيا اللغة وأهميتها كحيز ثقافي يقرر الفرد فيه خياراته ويمارس فيه حراكه باعتبار ذلك حقاً له. فمنظمة اليونيسكو (2008) مثلاً، اعتبرت اللغة " جوهرية لهوية المجموعات والأفراد ووجودهم الآمن.... عامل إستراتيجي نحو تطور دائم وعلاقة متناغمة بين السياق العالمي والسياس المحلي".

إن ثقافة شخص ما ولغته يصممان هويته. وبما أن اللغة هي مؤشر لهوية الشخص فإن للغته قيمة جوهرية بالنسبة له وليس قيمة أداتية فقط. يُمكننا أن نستدلّ على المؤشر الهويّتي للغة من خلال الأدبيات السويولوجية والأنتروبولوجية، وهو يتمظهر بأشكال عدة متداخلة. فيما يلي محاور أساسية في هذا الشأن تشير إليها الأدبيات المذكورة:

المحور الأول - اللغة تجسيد لوجهات نظر ثقافية - إن لغة ثقافة ما تعبر بشكل مميز عن القيم ووجهات النظر التي تتضمنها هذه الثقافة.¹⁰ إن معنى كلمة ما يتصل اتصالاً مباشراً بالسياق الثقافي المزروعة فيه، وبجملة المعاني التي تشكّل مجتمعة ذلك السياق. اللغة عملياً، مؤلفة من جملة هذه المعاني. هناك معاني ومفاهيم ثقافية من الصعب جداً التعبير عنها من خلال مصطلحات لغة أخرى تعجز عن تجسيد طبقات المعنى والسياق الذي

تعيش فيه المصطلحات الأصلية. إذن، فإن باحثين من حقول الفلسفة¹¹ وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا والألسنيات،¹² أقامت الصلة بين اللغة وبين الثقافة الأمر الذي يعزّز القيمة الجوهرية للغة.

المحور الثاني - اللغة هي معيار المركبات اللفظية للثقافة - مفهوم اللغة المذكور في البند السابق يُفزي إلى المفهوم الثاني وهو أن اللغة محدّد ثقافي: فمركبات ثقافة ما مثل الأغاني والأعراف والأمثال تُكتب ويُعبّر عنها بلغة تتضمنها تلك الثقافة.¹³ فالمركبات اللفظية في الثقافة التي يُعبّر عنها بلغة ما تجسّد خصائص ثقافية ستضيع في حال ترجمتها إلى لغة أخرى.¹⁴ الفارق بين الشكلين اللذين تشكل فيهما اللغة محددًا للهوية والثقافة هو في أن اللغة لا تقتصر على توفير مقلع للتفكير الإنساني بل هي المعيار الذي تتشكل وفقا له النصوص الثقافية من المقلع المذكور كما يؤكّد الشكل الثاني للصلة بين اللغة وبين أعراف الثقافة وأصولها وأحكامها بالنسبة للعالم والحياة.¹⁵

المحور الثالث - اللغة كموضوع للتماثل الثقافي - إذا افترضنا أن اللغة هي محدّد ثقافي، تجسّد تصورات ثقافية ووجهات نظر وهي الحبل الواصل بين كل ما تنتجه ثقافة ما فإن الأشخاص الذين يتحدثون هذه اللغة يتعاملون معها كموضوع للتماثل. بمعنى آخر، تنطوي اللغة على معنى رمزي هام بالنسبة للمتحدثين بها لأنها تعبّر عن ثقافتهم وتجسّدها. الأشخاص الذين يعيشون في ثقافة معينة يتماثلون مع لغتهم ومجمل الإنجاز الثقافي الذي تعبّر عنه وتتيح تحقيقه.¹⁶

إن القبول بفرضية اللغة كقيمة جوهرية في تشكيل الهوية الثقافية مثل الدين أو التاريخ المشترك، يمنحها مكانة خاصة بحدّ ذاتها تقتضي الحماية. وتصير

هذه الحماية واجبا على الدولة إذا عرفنا أن الهوية الثقافية أضعف وأقل شأنًا بدون مكوّن اللغة المذكور. وتكتسب اللغة - وهنا، لغة الأقلية - مكانة الخير العام الجوهري القائم بذاته متجاوزة مكانتها الوظيفية. في مثل هذه الحال تستدعي اللغة حماية شاملة من الدولة كشرط لحماية الهوية الثقافية للأقلية الناطقة بها. وهو ما بدا القضاء الإسرائيلي مستعدا لتوفيره ضمن أدبياته في قضيتي رام مهندسون وعدالة المشار إليهما. بمعنى، أن مصلحة الأقلية العربية هنا في حماية لغتها العربية هي مصلحة واضحة ومصيرية. فاللغة العربية بالنسبة لأقلية العربية في إسرائيل هي محدد ثقافي وحيد يُنتج مصلحة عليا لهذه الأقلية في حماية هذه اللغة التي تشكّل المؤشر الثقافي الذي يميز بينها وبين باقي السكان في الدولة. وهي بحاجة إلى ذلك ضمن حركة التاريخ التي أملت عليها شروطا وجودية جعلتها أقلية وطن أصلانية بأمرّ الحاجة إلى لغتها وثقافتها كي تبقى وفق ما تريده كجزء من الشعب الفلسطيني والأمة العربية علما بوجود صراع تاريخي بين دولة إسرائيل التي تعيش فيها وبين المحيط العربي.

وهذا ما يتفق مع وجهات نظر العديد من الباحثين الذين تطرقوا إلى اللغة وأهميتها وارتباطها بهوية وثقافة الجماعة المتحدثة بها. فالفيلسوف السياسي المعروف وليام كيمليكا (William Kymlicka, 1995) في كتابه **مواطنة متعددة الثقافات** ميز ومايز بين حقوق الأقليات. وأقرّ وجوب منح حماية أكبر للحقوق الثقافية وبضمنها اللغة لدى الأقليات القومية الأصلانية، كما هو حال العرب-الفلسطينيين في إسرائيل قياسا بتلك الممنوحة للأقليات المهاجرة، مثال ملايين الأتراك المتواجدين في ألمانيا والذين قدموا إليها في القرن العشرين لأسباب اقتصادية. فهو يدعي أن التآكل التدريجي في لغات

المجموعات المهاجرة يُنظر إليه كظاهرة حتمية وشرعية في عملية بناء الدولة القومية. لكن الحال مغايرة فيما يتعلق بلغات المجموعات القومية الأصلانية. هنا، لا يُمكن القبول بجعل بناء الدولة القومية وعملية الجتمعة فيها مبررين لإلغاء لغات الأقليات الأصلانية أو طمس ثقافتها. وحسب كيمليكا، فإن الدولة القومية ملزمة في مثل هذه الحالات برعاية لغات الأقليات الأصلانية وثقافتها وحمايتها من خلال التشريع وإجراءات الحكم في الحيزين الخاص والعام. ولعلّ تجربة اللغة السويدية في فنلندا والفرنسية في كندا تشكل مثالا على ما ذهب إليه كيمليكا من حيث التزام الدولة بحماية اللغتين ضمن سياسات لغوية مُنصفة. وهو ما التفتت إليه المواثيق والأعراف الدولية ضمن الأدبيات الحقوقية المتصلة بحقوق الإنسان والأقليات والشعوب. فما من وثيقة تخلو من إشارة إلى الحقوق اللغوية أو الثقافية باعتبارها شرطا ضروريا لحراك الفرد والجماعة وحفاظهما على هويتيهما.

4.3 هيمنة اللغة العربية ومفاعيلها الواقعة على اللغة العربية

يُشار هنا، ارتباطا بالباب السابق، إلى أن العُبرنة التي أفضت إلى تهميش اللغة العربية، لم تُفرض بحكم الواقع ولأغراض الاتصال فقط بل قُصد بها جتمعة العربي بروح تاريخ اليهود وروايتهم وثقافتهم لغرض شرعنة وجودهم وسيادتهم في هذه البلاد ماضيا وحاضرا. وهذا ما يشكل تحديًا إضافيا في عمق تجربة الأقلية العربية الفلسطينية في إسرائيل. فرغم حاجة أبناء هذه الأقلية للغة العبرية لأسباب عملية ونفعية، لم تأخذ المناهج بعين الاعتبار الحاجات الحقيقية والخاصة لهؤلاء، على ما ينعكس في المضامين الخاصة

بالمواضيع بالعبرية، والتي تركز على الثقافة والأدب وتأهيل المعلمين. لا شك أن تعليم العبرية المشبعة بالقيم اليهودية الصهيونية لم يكن اعتباطيا وإنما جاء للاعتبارات السياسية المدفوعة، أساسًا، بأيدولوجية دولة قومية عرقية. بكلمات أخرى، كان تعليم العبرية إحدى الأدوات التي استعملتها المؤسسة، مثل المواضيع الأخرى ومن ضمنها التاريخ والجغرافيا والمدنيات، للتأسيس لهوية عربية جديدة، هوية "العربي - الإسرائيلي" التي تعدم المكوّن القومي وتضمّر القبول بمواطنة ناقصة. وفي هذا خدش للذاكرة الجماعية من خلال تهميش اللغة والثقافة العريبتين، من جهة، والنشوء على مباني ومكوّنات الثقافة والتاريخ اليهوديين وتسرب اللغة العبرية وتمدها في مساحة اللغة العربية لا سيما اليومية المتداولة.

هناك استعارة مكثّفة لخصائص مختلفة من اللغة العبرية في اللغة العربية في إسرائيل. فنرى أن معظم مجالات الحياة أصبحت متأثرة بالثقافة اليهودية - الإسرائيلية، ذلك أن تأثير الاستعارة يتعدى الجانب اللغوي التجريدي ويؤثر بالتالي على الثقافة والهوية والانتماءات المختلفة. فبات الكثيرون من المواطنين الفلسطينيين غير واعين للاستعارة المكثفة. والأنكى من ذلك، أنهم لا ينجحون في درء الاستعارات العبرية وإن قصدوا ذلك، بسبب تمكّن هذه المباني منهم ولعدم إلمامهم بما يقابل المفردات والتراكيب العبرية في اللغة العربية المعيارية. لم يقتصر تأثير العبرنة على الاستعارة في المجالات المختلفة وعلى قاموس الأفراد، إنما تعداها ليصل إلى المشهد اللغوي في الحيز العام للفلسطينيين في إسرائيل. فاللغة العبرية سيدة الموقف في يافطات التأشير والدعاية وواجهات الحوانيت، وفي المكاتبات بين السلطة المحلية والمواطنين أو في المنبهات الثقافية

العربية وتحدياتها في السياق الإسرائيلي

في المدارس والمؤسسات. تطوّر جاء في جزء منه بإرادة من العرب أنفسهم، وفي جزئه الآخر من سياسات المؤسسة الإسرائيلية التي دأبت على عبّنة وتهويد المكان الذي تم تفرّغه من بعض معالمه العربية.

لقد كانت عملية عبّنة الأسماء جزءاً من عملية إعادة تشكيل الذاكرة التاريخية من خلال إحلال مسميات عبرية بدل المسميات العربية التي كانت حاضرة في المشهد الفلسطيني، عملية تدل على محاولة إسرائيلية واضحة في ترجمة الهيمنة السياسية اليهودية إلى هيمنة لغوية على المكان. بمعنى، ان احتلال المكان لا يكتمل بدون احتلاله لغوياً، أيضاً، والاستحواذ على الذاكرة العامة. بكلمات أخرى، أعقب الهيمنة السياسية اليهودية على فلسطين هيمنة لغوية، أصبحت فيها العبرية الحاضرة والمهيمنة على الحيز العام وفيه.

أثرت سيرورة العبّنة على حيوية اللغة العربية والوظائف التي تقوم بها في المجالات المختلفة وعلى دورها في بناء الهوية الجمعية للعرب الفلسطينيين في إسرائيل. فاللغة العربية في جهاز التعليم العربي مثلاً، لم تقم إلى اليوم بوظيفتها ك لغة أقلية قومية أصلانية، لها الحق في المحافظة على هويتها بأبعادها وبمستوياتها المختلفة كما هو الحال في المجالات الحياتية المختلفة. صحيح أن اللغة العربية هي لغة التدريس في المدارس العربية، ولكنها لا تلبي الاحتياجات المجتمعية والهوية للمتعلّم. بل تشهد المناهج والمضامين والكتب التدريسية محاولات واضحة لإفراغها من مكوناتها الثقافية والقومية وحصرها في الأبعاد التراثية والفولكلورية. هذا ناهيك عن مستوى تحصيل متدنٍ للطالب العربي عموماً في موضوع اللغة العربية والمواضيع المتصلة بها. وعليه، فإن تصورنا هذا يسعى إلى تغيير السياسات التربوية الحالية لا سيما في

لغتنا العربية: رؤيا وتحديات

القضية اللغوية والهوية، وإلى إعادة تشكيل الفضاء البيداغوجي - التربوي لجهاز التعليم العربي، على قاعدة توكيد أهمية اللغة في بناء شخصية الطالب وتقليص الاغتراب بينه وبين المضامين التدريسية، وفي إثراء الملكة اللغوية عند الطلبة إضافة إلى تحقيق الكفاءة اللغوية. (أنظر أمانة، 2010ب).

إطار رؤيوي لمواجهة التحديات

كانت وما تزال هناك محاولات عربية جادة لتعزيز مكانة اللغة العربية كأحد المكونات الأساسية للهوية الفردية والجمعية. نذكر، على سبيل المثال، مساهمة الأحزاب والحركات السياسية ومؤسسات المجتمع المدني في متابعة هذه المسألة والاشتغال بها من زوايا مختلفة وإقامة المجمع اللغوية. بل أمكننا أن نشير، بكثير من الارتياح، إلى ما تراكم من خطاب وأفكار ونتائج لغوية بفضل نشاط مؤسسات المجتمع المدني ومطبوعاتها وحراكها ومواضيع نشاطها. وخير مثال على ذلك "التصورات المستقبلية"¹⁷ وسيل المطبوعات ومجمل الخطاب الفاعل الذي أتت به هذه المؤسسات، التي شكّلت فتحة لغوية جديدا وسّعت حدود التجربة اللغوية المحلية وأغناها. ومع هذا لا تزال التحديات أمام اللغة العربية كبيرة جدا، سواء من العِبْرنة (من داخل المجتمع وخارجه) أو العوْلة. ولا شكّ في أن هنالك انحسارا في مكانتها ومساحات استعمالها على المستويين، البنوي أو الوظيفي. ويكفي تأمل النتائج التحصيلية المتدنية جدا للطلاب العرب في اختبارات اللغة المختلفة، لنعرف أن اللغة، وهي أحد أهم عوامل التنشئة، تعترضها الكثير من المعوقات. والسؤال، كيف نواجه هذه التحديات بأكثر فاعلية ونجاعة؟ وما هي الوسائل والأدوات التي تضمن رفع

مكانة اللغة العربية وضمان منح العرب الحقوق اللغوية الفرديّة والجماعيّة؟ نبحث في هذا الفصل مسألة التحديات وكيفية مواجهتها، وسنقترح إطاراً رؤيويًا يتصل بحالة العرب الفلسطينيين في إسرائيل، وخطوات عملية للبدء في عملية تعزيز العربية ونمائها على الأصعدة المختلفة. ونفترض أن العوامل التي تدعم العربية قوية جدا وفاعلة، تمنحنا إمكانيات لجعلها لغة العصر ولغة الحيز العربي.

يقوم الإطار المقترح على ثلاثة محاور مركزية: الأول - الممارسات اللغوية. والثاني - الأيديولوجية اللغوية والثالث - السياسات اللغوية. لكي نواجه التحديات، علينا أن نفهم بعمق المحاور المختلفة المتعلقة باللغة والتي تؤثر عليها سلباً أو إيجاباً. علينا، بدايةً، أن نفهم اللغة على إنها كائن حيّ ينبغي توفّر الرعاية له حتى يعيش ويتطوّر.

5.1 المحور الأول: الممارسات اللغوية

الممارسات أو الاستعمالات اللغوية هي تلك الخيارات والسلوكيات الظاهرة التي تجسّد علاقة المجتمع والأفراد بلغتهم. والحديث هنا عن خصائص اللغة المنتقاة، وعن الصيغة اللغوية المستعملة. تشكّل الممارسات اللغوية، في نهاية الأمر، السياق اللغوي لكل من تعلّم اللغة (Spolsky, 2009: 4).

تستدعي عملية التدخل منا إدراك استعمال اللغة في مستوياتها المختلفة، بين الأفراد وبين المجموعات، في المواقع المختلفة. وفي هذا المحور نطرح الأسئلة التالية:

إطار رؤيوي لمواجهة التحديات

- هل العربية، بمستوياتها المتنوعة، هي اللغة المستعملة الوحيدة في المجالات المختلفة؟
- هل هناك اختلاف في استعمال العربية بمستوياتها المتنوعة بين المجالات العامة والخاصة؟
- هل اللغة المعيارية هي لغة البيئة التعليمية؟ أم أن هناك خليطا ما بينها وبين المحكية؟
- هل هناك من منافسة للغات أخرى؟ وفي أي المواقع والمجالات؟
- هل هناك خليط من اللغات في الاستعمال؟
- ما الدور الذي تقوم به المدارس في توعية الطلاب بأهمية استعمال اللغة العربية المعيارية؟
- لربما كان هناك تفضيل من الناحية الإيدولوجية للغة ما، بينما الممارسات في الواقع لا تتماشى مع الإيدولوجيا ولا تتفق معها.
- والسؤال الأساسي في هذا المحور: أي ممارسات نريدها في الحيز العربي؟ وعلى عاتق من تقع مسؤولية تغيير الممارسات اللغوية ناحية المرغوب؟ رغم أن هذا السؤال يتصل باستعمال اللغة، إلا أنه سؤال إيدولوجي وسياساتي بامتياز.

5.2 المحور الثاني: الإيدولوجية اللغوية

الإيدولوجية اللغوية تتصل بمعتقداتنا حول اللغة والأدوار التي يُمكن أن تؤدّيها والوظائف التي يُمكن أن تقوم بها، ومواقف ناطقها منها ومكانتها

عندهم. فالإيديولوجيا هي المحرك الأساس لبناء رؤيا تتصل باللغة ودورها في المجتمع. نشير في هذا السياق مثلا، إلى أن إحياء اللغة العبرية بدأ مع نشأة الحركة الصهيونية التي ارتأت أن نفي المنفى وبناء هوية اليهودي الجديد يتطلبان اعتماد اللغة العبرية في الحيزين الخاص والعام. كذلك، ارتبطت النهضة العربية الحديثة بشكل عضوي باللغة العربية ومشاريع إحيائها.

لا شك أن وهنا ما أصاب الإيديولوجية اللغوية في العالم العربي، وإن كان بدرجات متفاوتة. فهناك صراع كبير ما بين الذين يناصرون العروبة والعربية، وأولئك الذين يدعمون القوميات المحلية ولهجاتها العامية. وهناك العديد من الأصوات التي نادى بإحلال العاميات في بلدان عربية، ونرى، على سبيل المثال، شرائح واسعة تنظر إلى العربية الفصحى/المعيارية على أنها لغة الماضي. معنى هذا، أن اللغة العربية لا تصلح للقيام بالوظائف الحياتية المتعددة. وبهذا المفهوم، اللغة العربية ليست لغة حديثة، الأمر الذي يستدعي إيجاد لغة أخرى للقيام بهذا الدور، كما يحدث في الأقطار العربية المختلفة حيث الاستعمال المكثف للإنجليزية والفرنسية.

أفضى الوهن في الإيديولوجية اللغوية بالكثير من الأفراد في العالم العربي إلى الاعتقاد بأن اللغات الأجنبية وحدها تصلح لأن تكون لغة العصر. ومن هنا، فإن تعليم العلوم في كثير من الجامعات العربية يتم بالإنجليزية أو الفرنسية؛ نسبة عالية من الطلاب في المغرب العربي تفضل اللغة الفرنسية لغة للتدريس في المدارس؛ إقامة مدارس في مصر وغيرها من الدول العربية تعتمد اللغة الإنجليزية لغة التدريس الأساسية.

أعلنت دول المغرب العربي، بعد استقلالها، عن بدء عملية التعريب، أي إعادة

الهوية العربية ولغتها لأبنائها في جميع مجالات الحياة. فمشروع التعريب في أساسه هو إيدلوجي سعى إلى إعادة إنتاج المجتمع وبنائه في ورشة الثقافة العربية ولغتها باعتبار ذلك تكريسا لتحرير الإنسان العربي من هيمنة المستعمر السياسية والثقافية، أيضا. شهد هذا المشروع، حين اعتُمد، إخفاقات ونجاحات ينبغي أن نستخلص منها الدروس لغرض اعتماد سياسات لغوية وإدارة اللغة العربية في حالنا على نحو يحقق الأهداف المرجوة.

التحدي الأكبر هو بناء مشروع تعريب جماهيري رغم البيئة اللغوية - الاجتماعية والظروف السياسية التي تتسم بهيمنة اللغة العبرية في المجالات العامة. لا شك أن وثائق "التصورات المستقبلية" أرست الأسس النظرية لسياسات عامة في هذا المجال. لقد اعتبرت الوثائق الأربع أن إنهاء الهيمنة اللغوية لمجموعة الأغلبية هو جزء من إنهاء الهيمنة الإثنية اليهودية وإعطاء العرب الفلسطينيين في إسرائيل دورهم في التعبير عن هويتهم القومية والثقافية في الحيز العام. وهذا يشير إلى أن الوثائق لم تتعامل مع مسألة اللغة كتحصيل حاصل، بل أولتها أهمية خاصة.

5.3 المحور الثالث: السياسات اللغوية

السياسات اللغوية تعكس محاولة مدروسة ومخططة للتأثير بشكل مباشر أو غير مباشر على الممارسات اللغوية للأفراد أو المجموعات. ولا نتحدث هنا عن سياسات المؤسسة الرسمية فقط، وإنما السياسات اللغوية للعرب الفلسطينيين أنفسهم، على مؤسساتهم وفعاليتهم كافة، السياسية، والمدنية والاقتصادية والأهلية والدينية والتعليمية والثقافية.

نفترض أن السياسات اللغوية تقوم على أساس رؤيا إيديولوجية فكرية تتوخى سلوكيات وممارسات لغوية محددة لدى الأفراد والمؤسسات والمجتمع عموماً. ونفترض، أيضاً، أنها ينبغي أن تقترح برامج واستراتيجيات وطرائق عمل تطبيقية لتحقيق أهداف موضوعة.

هناك ارتباط وثيق بين المحاور الثلاثة وتقاطع فيما بينها. وتوصيتنا، هنا، العمل عليها مجتمعة لتحقيق التأثير المرجو. وللتأكيد على ما ذهبنا إليه نشير بارتياح إلى ما جاء من سياسات لغوية في التصورات المستقبلية لكننا لم نستطع تحويل المقترحات النظرية والبرامج التفصيلية إلى تطبيقات وممارسات في الحقل، بمعنى أن السياسات لا تعني شيئاً إذا لم توضع قيد التنفيذ.

إن، نقترح أن تقوم عملية التغيير على منهجية تدمج بين المحاور الثلاثة الآتفة الذكر وتطوير ما نسميه في علم اللغة الاجتماعي، إدارة اللغة (language management)، أي التأثير على الممارسات والخيارات اللغوية، عاكساً بذلك جهوداً صريحة أو خفية للذين يقومون على إدارة اللغة والسيطرة على الخيارات اللغوية (سبولسكي، 2009: 1).

6

إدارة اللغة -

اقتراحات أولية

نقترح فيما يلي القيام بالخطوات الآتية لإدارة اللغة والتأثير على الممارسات اللغوية، نقدمها كمادة للتفكير يتمّ تطويرها مستقبلاً إلى مشاريع مفصلة.

6.1 على المستوى القطري

ينبغي ضمان حضور اللغة العربية في الحيّز العام علماً أن العبرية هي اللغة المهيمنة فيه. وهو وضع نشأ من كون اللغة العربية اسمية في مستوى التطبيق والحاصل رغم كونها لغة رسمية في الدولة بموجب القانون والعرف. نقصد هنا تغيير المشهد العام بتوفير إمكانية الوصول إلى الموارد العامة عن طريق اللغة العربية. ومن نافل القول أن حضور اللغة العربية في الحيّز العام يزيد من حيويتها ويعزّز من مكانتها بعين ناطقها وبعيون الآخرين. في سعينا إلى منح المكانة الرسمية للغة العربية معناها العملي نقترح ما يلي من خطوات:

- مواصلة المرافعة في قضايا الحقوق اللغوية أمام المحاكم - حققت بعض مؤسسات المجتمع المدني مثل جمعية حقوق المواطن ومركز عدالة

ومؤسسات حقوقية أخرى، حتى الآن إنجازات حقوقية في هذا المضمار. فقد نجحت في استصدار جملة قرارات من المحكمة العليا والمستشار القضائي للحكومة وجهات رسمية أخرى تصب في تعزيز مكانة اللغة العربية وضرورة احترامها في المعاملات الرسمية بين الدولة ومواطنيها العرب وزيادة حضورها في الحيز العام. مع هذا، لا تزال هناك حاجة لتطوير هذا المسار والقيام بخطوات أخرى من خلال استثمار القضاء لإحداث تغيير في مكانة اللغة العربية لجهة تعزيزها وإلزام الدولة بحمايتها بوصفها حقا ثقافيا مصيريا بالنسبة للأقلية العربية.

- **المطالبة بالحقوق اللغوية الفردية والجماعية** - العمل مقابل مؤسسات الدولة ومواقع صنع القرار في كل المستويات بوسائل ضغط سياسية وإعلامية وغيرها من أجل التأثير على السياسات اللغوية المتصلة باللغة العربية. وهو ما ينبغي أن تقوم به الفعاليات الاجتماعية والأحزاب السياسيّة من خلال اعتماد الوسائل المتاحة وأهمها تجنيد الجمهور كافة لضمان أحد أهم الحقوق الجماعية للأقلية العربية الأصلانية، وهو الحق باللغة والحراك بها.

- **الضغط على المجالس البلدية في المدن المختلطة** - ضغط يستهدف ضمان استخدام اللغتين الرسميتين، العبرية والعربية، في الأماكن العامة. ويُشار إلى أن المحكمة العليا كانت أصدرت قرارا بهذا الشأن بناء على التماس لمركز عدالة وجمعية حقوق المواطن. ويشار، أيضا، إلى أن بعض المجالس البلدية تعمل بوحى من هذا القرار وتستعمل اللغتين في مناطق نفوذها. نوصي بمواصلة العمل مقابل هذه المؤسسات، من خلال حملات

جماهيرية وقضائية لتعميق هذا النهج وتطويره.

- **خطاب لغوي متطور** - إنشاء خطاب جديد بشأن اللغة العربية ووظائفها يقوم على الربط بين الحق باللغة العربية والحقوق الجماعية الثقافية وغيرها لأقلية أصلانية تسعى إلى الحفاظ على خصوصيتها من خلال مساواة مكانتها مع مجموعة الأكثرية اليهودية. يكون هذا بضمان الحق في تحقيق الذات الفردية والجماعية باللغة العربية.
- **تعزيز مكانة اللغة العربية في المؤسسات التعليمية** - تشكل المؤسسات التعليمية المدرسية منها والأكاديمية أو شبه الأكاديمية بيئة تنشئة أساسية لأجيال من المفترض أن تكون مؤثرة في العملية الاجتماعية على أنشطتها. ومن هنا، أهمية أن تعتمد هذه المؤسسات برامج ومناهج ترفع من مكانة اللغة العربية وتزيد من ثقلها في المقرر التدريسي كإشارة للمتعلّمين وخطوة عملية منها لإكساب الأجيال لغة معيارية قادرة على الحياة ومفتوحة الأبواب أمامهم.
- **تدريس العربية في المدارس اليهودية** - العمل على إقناع المجتمع اليهودي من خلال مؤسسات الدولة الرسمية ومؤسساته المدنية بأهمية تدريس اللغة العربية والاهتمام بالثقافة العربية عموماً كجزء من **المصالحة التاريخية المأمولة** بينه وبين الأقلية العربية والمحيط العربي. ونوصي أن يتم التعامل مع اللغة هنا مقرونة بالثقافة ونتاجها.
- **اعتماد الجامعات للعربية لغة رسمية** - العمل من خلال مجلس التعليم العالي أو مقابل الجامعات الإسرائيلية والمؤسسات الأكاديمية مباشرة على تعزيز مكانة اللغة العربية في المشهد الأكاديمي بإجراءات يقتضيهها ذلك لا

سيما تمكن المحاضرين والطلاب باعتمادها لغة علمية تتم بها المعاملات الأكاديمية مثل المحاضرات والوظائف في أقسام تستطيع ذلك.

6.2 على المستوى المحلي

- تعزيز مكانة اللغة العربية بين أهلها في المستوى المحلي، أيضا، في القرى والمدن ومقابل الأفراد والمؤسسات. ونفترض أن احتمال التغيير في المشهد اللغوي سيكون أكبر في مساحة المجتمع العربي بوصفه المعني المباشر بلغته ورفعته، وتتوفر فيه شروط مريحة لتطوير مكانة اللغة واستعمالاتها المختلفة.
- لتحقيق الهدف آنف الذكر، نقترح الخطوات التالية:
- **نشاطات وفعاليات تتمحور حول اللغة - نوصي بتنظيم فعاليات ونشاطات جماهيرية تتصل باللغة وما يتفرّع عنها.** يكون ذلك بدعم مؤسسات الحكم المحلي والمجتمع المدني وبمبادرات خاصة في الحقل. ونفترض أن الفائدة من هذا النشاط ستزيد، إذا تجاوزت التغني بأمجاد اللغة العربية ومزاياها، من حيوية الثقافية العربية والهوية واحتمالات إحقاق الحقوق الجماعية وتحسين شروط الوجود العربي في إسرائيل.
- **تحقيق التنمية اللغوية - يبدأ ذلك في جيل الطفولة المبكرة ويمتدّ على مدار المرحلة المدرسية وما يرافقها من نشاط منهجي ولا منهجي.** وللحكم المحلي والمجتمع المدني دور مميز في هذا السياق لأنهما شريكان في إدارة روضات وبساتين الأطفال وفي العملية التربوية وتصميم الحيز العام المحلي.

- **اعتماد سياسات لغوية في السلطات المحلية - الحث على اعتماد** سياسات لغوية واضحة في السلطات المحلية والمؤسسات المرتبطة بها فيما يتّصل باللغة واستخدامها. ونقترح على سبيل المثال، إصدار المستندات والمطبوعات والوثائق وتصريف المعاملات باللغة العربية بقدر ما أمكن. ونوصي، أيضاً، أن تعمل السلطات المحلية مقابل المؤسسات الرسمية في كل قرية ومدينة مثل سلطة البريد والمصارف وصناديق المرضى وغيرها على إجراء معاملاتها مع مقابل المواطنين باللغة العربية. من الأهمية أن تتبني اللجنة القطرية لرؤساء السلطات المحلية العربية في إسرائيل خطة عمل لتنفيذ سياسة لغوية واضحة بهذا الاتجاه.
- **ضمان إدراج اللغة العربية ضمن الدراسات العليا - العمل على إدراج** اللغة والثقافة العربيتين ضمن الأبحاث والرسائل الجامعية للقب الثاني أو الثالث من خلال تجنّد السلطات المحلية والمجتمع المدني لتشجيع ذلك مالياً أو من خلال جوائز ومحفزات.
- **دور هام للكليات العربية - نفترض أن لهذه الكليات دورها الهام** في تطوير حضور اللغة العربية وتعزيز مكانتها من خلال المحاضرات والندوات الثقافية والأيام الدراسية مع التأكيد على أن تكون اللغة العربية هي الأكثر حضوراً في المشهد التعليمي.
- **تعزيز الجانب البحثي للغة العربية - نفترض أن تقوم بذلك مجامع** اللغة العربية، بالإضافة إلى إقامة مركز للغة العربية لإجراء الأبحاث حول الجوانب المختلفة للغة العربية. من بين هذه الأبحاث الملحة:
أ. تطوير وسائل تربوية جديدة لتدريس اللغة العربية؛

- ب. فهم عميق للازدواجية على أرض الواقع، وخاصة في الصفوف الدنيا؛
ت. رصد استعمالات العربية في الأماكن العامة؛
ث. دراسة السياسة اللغوية بما يتعلق باللغة العربية؛
ج. دراسات شاملة وعميقة حول تأثير العبرية على العربية؛
ح. دراسة مواقف العرب في إسرائيل من اللغة العربية.
وهي سلسلة دراسات ينبغي أن تكون مفتوحة للاجتهادات والإضافات - ضرورة لبناء سياسات تربوية مبنية على أسس متينة ومنهجية.

- استثمار الجامعات اللغوية لإدارة الممارسات اللغوية - لتغيير السلوك اللغوي بالاتجاه المرغوب به، يجب أن تقوم مؤسسات على إدارته. ونعتقد أن مجامع اللغة مرشحة أكثر من غيرها للقيام بهذا الدور إذا قامت بإنشاء البنى التحتية المطلوبة لذلك.
- اللغة العربية ضمن الدراسات العليا - حث الطلبة العرب على دراسة اللغة العربية وآدابها في إطار الدراسات العليا وتطوير كادر من باحثي اللغة العربية والمتخصصين بعلم اللغة الحديثة ليكونوا وكلاء للغة وقضيتها في المدارس والمؤسسات التعليمية والحيز العام. ونفترض أنه لا يزال للمعلم الدور الأساس في عملية التنشئة على قيم وقضايا تكون اللغة العربية بينها.
- إنشاء المكتبات العامة في جميع القرى والمدن العربية.

- إنشاء المواقع الإلكترونية وإغنائها بالنصوص الرقمية.
- تكريم الأدباء والباحثين ومنح مكافآت مادية ومعنوية للعاملين على تطوير اللغة العربية.
- إقامة المسارح من أجل تمثيل مسرحيات باللغة العربية الفصحى ومسرحيات للأطفال.
- إقامة ندوات شعرية وثقافية تعنى باللغة العربية وبأهميتها للفرد والجماعة.

6.3 المؤسسات التعليمية والتربية اللغوية

بسبب أهمية المؤسسات التعليمية، هنالك حاجة لإعطاء هذا المجال أهمية خاصة لمواجهة التحديات.

تطور، في العقدين الأخيرين، نتاج معرفي ذو شأن حول التربية اللغوية، وذلك بفضل التراكم المعرفي في إطار علم اللغة التربوي (Educational Linguistics). ولا يقتصر هذا النتاج على تعلّم وتعليم اللغات فحسب، وإنما يمتدّ إلى التربية اللغوية بمفهومها الشمولي. فلم تعد غرفة الصف ولا درس اللغة العربية هي ساحة التنشئة اللغوية، وإنما هنالك وكلاء آخرون للتنشئة مثل البيت، بيئة المدرسة الشمولية، والمجتمع القريب والفضاء الافتراضي. لذا يتوجب علينا فهم وربط هذه الدوائر المختلفة بحيث نخلق محيطاً لغوياً داعماً.

لبناء تربية لغوية غنية قادرة على تلبية حاجات الفرد والمجتمع، هنالك حاجة

لفحص وتعزيز العديد من المركبات، منها معلم اللغة العربية، معلمو المواضيع الأخرى، الطالب، المناهج، البيئة التعليمية، طرائق تدريس اللغة، معيقات تعلّم اللغة العربية وتعليمها في الصفوف الأولى، برامج اللغة العربية في الكليات العربية.

لا يزال مفهوم اللغة وتدريسها في مجتمعنا تقليديا إن لم يكن محافظا. فهو يقضي بالتركيز على تطوير المهارات والمهارات الفرعية بمعزل عن المفهوم الشمولي للتربية اللغوية. فليس صدفة أن تكون النتائج التحصيلية في موضوع اللغة العربية في مختلف المراحل التدريسية غير مُرضية. ما لم يحدث تغيير جوهري في مناهج التربية اللغوية وطرائقها المختلفة لن تتغير الصورة بشكل جوهري عما هي عليه اليوم.

هنالك حاجة لبناء مشاريع طموحة ترسم الخطوط الأولى لتربية لغوية خاصة باللغة العربية من جوانبها المختلفة من خلال اقتراح بدائل وخطوات عملية لتغيير الوضع القائم. ونعتمد أنه بتعزيز اللغة العربية وقيامها بالمهام المأمولة منها (انظروا الأسئلة لاحقا) يتعزز التحصيل في المواضيع الأخرى، ما يسهم في بناء إنسان قادر على سدّ احتياجاته الأكاديمية والمهنية بشكل أنجع. لذا، تحتاج التربية اللغوية إلى تطوير مفهومنا للغة وتعليمها في المرافق التالية: البيت، والبيئة القريبة، والحيز العام، والمدرسة ومؤسسات التعليم، والحيز العام في المدينة والحيز العام في الدولة. وبهذا يمكن تذويت اللغة والتأثير على الإيديولوجيا اللغوية للفرد في زيادة الإيمان بأدوار اللغة العربية وتحسين المعتقدات والاتجاهات المتعلقة بها. ومن ثمّ يمكن التأثير على الممارسة اللغوية وتنفيذ المعتقدات حول اللغة من خلال السياسة اللغوية التي تكون من

المؤسسة أو الدولة أو البيت.

هناك حاجة لبناء شراكات هامة، وفي مركزها عملية تلاقي استراتيجي بين الحكم المحلي، المجتمع الأهلي العربي والأكاديمية. وهي الشراكة التي تنقصنا في البلاد وخاصة أننا بحاجة لمشاريع أكاديمية ذات أبعاد إجتماعية تطبيقية.

والأسئلة المركزية التي سترشدنا في بناء المشاريع (البحثية) المختلفة هي:

• ماذا علينا أن نُعلم طلابنا عن اللغة العربية بهدف تحضيرهم للنجاح الأكاديمي، والنجاح المهني، وللتحديات الفكرية الواسعة في حياتهم كباغين؟

• ماذا على المعلمين أن يعرفوا عن اللغة العربية كي يكونوا فاعلين في تعزيز النتائج اللغوية المرغوب بها؟

• حالما حددنا النتائج اللغوية المرغوب بها والمعرفة اللغوية التي يجب أن يتحلى بها المعلم، ما هي الوسائل التي سنستعملها لتعزيزها؟

• كيف نضمن محيطا لغويا تربويا يعزّز من مكانة اللغة في العملية التربوية خصوصا، وفي نواحي حياتنا الأخرى عموما؟

من خلال المفهوم الشمولي للتربية اللغوية العربية، نصبو لتحقيق الأهداف الآتية:

1. إنتاج معرفي حول التربية اللغوية عموما وما يتعلق منها باللغة العربية خصوصا؛

2. بناء مفهوم وتصور شمولي للتربية اللغوية في المدارس العربية؛

3. التركيز على الجوانب التطبيقية في الإنتاج المعرفي بحيث تشمل تقديم توصيات لمتخذي القرار (على الصعيدين المحلي والقطري) من ناحية، وتوصيات عملية للحقل (المدارس، الكليات، الأهل) أينما أمكن من ناحية أخرى؛
4. تعزيز التفكير الجماعي وبناء كادر من الباحثين وإكسابه الأدوات والخبرة في مجال التربية والسياسات اللغوية؛
5. انبثاق طاقم استراتيجي من متخذي القرارات العرب والباحثين والأخصائيين في مجال التربية والسياسات اللغوية يتابع تنفيذ الخطوات المذكورة أعلاه.

اقتراحات عملية أولية:

- يجب أن تتطابق الأهداف المعلنة في البرامج التعليمية مع المواد التعليمية في الكتب التدريسية. ليس كافياً الإعلان عن وجوب كون التلميذ العربي فخوراً بالعربية كلغة قومية، لأن الموضوع هنا متعلق بـ "أهداف تعليم العربية للعرب"، ويجب ترجمة ذلك من النظرية إلى الممارسة. وفي الوقت نفسه، يجب زيادة تدريس الأعمال الأدبية للكتاب والشعراء الفلسطينيين على أساس الجودة والنوعية العالية، كجزء من الربط بين اللغة والثقافة والهوية وتطوير علاقة دافئة بين اللغة وصاحبها بدل علاقة الغربة التي تنشأ بسبب الجفاء القائم بين العربية كلغة أم وبين المضامين التي يتضمنها المنهج في هذا الموضوع.

• **مسألة الازدواجية اللغوية -** حتى يومنا هذا، لا يمتلك المعلمون أدوات أو وسائل تربوية تمكنهم من التغلب على قضية ازدواجية اللغة العربية بين محكية ومعيارية. وتوخياً للصدق، لا يوجد في العالم العربي كله حل فعّال لهذه القضية. إن الطريقة المثالية هي ما يمكن أن ندعوه بعملية "التثقيف اللغوي"، أي مساعدة الفرد على استعمال اللغة المناسبة في كل حقل من حقول المعرفة، من الروضة حتى الجامعة وما بعدها (سيبان، 1991)، واستعمال اللغة المعيارية الميسرة خارج المواقع الرسمية (حيوية اللغة).

فيما يتعلّق بالمعلمين، نقترح ما يلي:

1. **تدريبات لمعلمي اللغة العربية -** أن يتلقى خريجو الكليات والجامعات، الذين درسوا العربية كلغة أجنبية، تدريباً في تعليم العربية كلغة أم، وليس كلغة أجنبية في المؤسسات المخولة للقيام بذلك؛ نوّكّد في هذا الإطار على ضرورة توسيع مساقات التأهيل في حقل تعليم العربية وجعلها متنوعة في مواضيعها؛ وكذلك، يجب أن يطلب من المعلمين الجدد والقدامى أن يشاركوا في هذه المساقات.

2. **مهارات للمعلمين باللغة العربية -** في ظل واقع عدم اهتمام معلمي المواضيع الأخرى، غير العربية، بدعم ورعاية العربية، ومرورهم على المادة التعليمية دون الاهتمام باستعمال اللغة الفصحى،¹⁸ يتعين على المعلم الذي لا يتخصص في تعليم اللغة العربية، أن يعرف بنية اللغة لكي يسهل عليه نقل المهارات التعليمية إلى تلاميذه.

3. **الوعي بأهمية القراءة والكتابة -** اعتبار القراءة والكتابة باللغة

العربية جزءا من منهاج تعلّمها في كل المراحل الدراسية باعتبار القراءة وأكثر الكتابة أهم الاستعمالات التي تمكّن المتعلّم من إتقان المهارات اللغوية وتطوير استعمالاتها. يكون ذلك عن طريق اقتناء الكتب، وأيضاً، عن طريق إنشاء مكّتابات في المدارس و "مكتبة الصف". بعض المدارس تفقّرت إلى مكّتابات على الإطلاق، وفي مدارس أخرى، تكون المكتبة صغيرة ولا تلبّي احتياجات التلاميذ. إن زيادة الوعي بأهمية الكتاب، كرأس مال ثقافي، أمر أساسي بسبب ازدواجية اللغة العربية.

4. **تخصيص ست ساعات**، على الأقل، كحد أدنى لتعليم العربية في المدارس الثانوية؛ وتشجيع التلاميذ على أن يتقدموا لامتحان الثانوية العامة (البحرّوت) في مستوى خمس وحدات تعليمية.

5. توسيع مجال وظيفة المفتش لكي يتمكن من استثمار معظم وقته في تحسين الوضع التعليمي. ففي الوقت الذي تسمع فيه الشكاوى والاحتجاجات حول وضع تعليم العربية، فإن وزارة المعارف غير مستعدة للقيام بتغييرات في جهاز التفتيش المسؤول عن تعليم العربية.

6. **تذويت أهمية اللغة العربية** في المراسلات بين موظفي المؤسسات ومديري المدارس مع المعلمين حتى تصبح اللغة العربية هي **اللغة المتداولة بين المجتمع العربي الفلسطيني في البلاد** لا سيما وأن موظفي المؤسسات الذين يفضلون استعمال اللغة العبرية على العربية خاصة لدى الكتابة بسبب ترهّل وضعف الملكة اللغوية عندهم في اللغة العربية أو لأسباب أخرى.

نشير، بدايةً إلى حقيقة أننا أقلية وطن أصلانية نعيش في دولة لا نملك فيها السيادة في الحيز العام القطري وعليه. فإن الحديث عن سياسات لغوية وإدارة لغوية يعني السعي إلى التأثير على سياسات الدولة في هذا الشأن وتطوير توجهات ذاتية بمبادراتنا الذاتية ومحاولة الوصول إلى الإدارة اللغوية. بل كوننا أقلية وطن أصلانية معنية بلغتها وخصوصيتها القومية وحقوقها الثقافية فإن القسط الأكبر من المسؤولية والجهد والتمويل يبقى على عواتقنا. ويصير الأمر ملحا إذا قلنا أن تعاملنا مع اللغة سيكون تعاملًا شموليًا يتعدى فهم اللغة على أنها أداة اتصال إلى كونها هوية وثقافة وحراك لتحقيق الذات. اللغة العربية في إسرائيل هي لغة تمكين ولغة الذاكرة الجماعية والهوية القومية والذاتية الثقافية، لغة حيّة وناطقة لها وجودها وبقاؤها على الرغم من التحديات التي تعصف بها لا سيما من العولمة والعبرنة. واجبنا الحفاظ على حيوية اللغة وحضورها وفق الأسس التالية:

الأساس الأول - تدويت أهمية اللغة العربية المعيارية وتعزيز مواقف العرب الفلسطينيين الإيجابية تجاهها، وإدراك حقيقة أن اللغة المعيارية صالحة وقادرة على أن تكون لغة عملية وحداثيّة بما يتفق مع الإيديولوجية اللغوية.

الأساس الثاني - الانطلاق من أن اللغة العربية المحكية واللغة العربية المعيارية ليستا في حالة صراع، وإنما في حالة من التنوع اللغوي، وعلى العربي

أن يتقن الاثنتين لظروف ووظائف مختلفة بحيث تكون الواحدة مكملة للأخرى.

الأساس الثالث - توفير الظروف المساعدة لاستعمال العربية بأبعادها ومستوياتها المختلفة في جميع المجالات التي تؤثر على استخدام اللغة.

عرضنا في هذا التصور إطارا رؤيويًا لمواجهة التحديات، وأعطينا أمثلة عينية وعملية للبدء بعملية التغيير على المحاور الثلاثة. ما تبقى هو بناء مشاريع طموحة مدعمة باستراتيجيات وآليات، والتشجيع عن السواعد من أجل بناء بيئة لغوية غنية تأخذ اللغة العربية المعيارية فيها حيزًا في البيت والمدرسة والمؤسسات الأكاديمية وفي جميع المؤسسات الخصوصية والعمومية.

1. لمزيد من تفاصيل حول الوضع اللغوي في فلسطين، أنظر أمارة 2003.
2. <http://ar.wikipedia.org/wiki>
3. من مسميات اللغة العربية: "لغة القرآن" بما أن القرآن قد نزل بها، فسميت باسمه، "لغة أهل الجنة" لأن الإسلام يرشد إلى أنها لغة أهل الجنة، "لغة الضاد" هو الاسم الذي يُطلقه العرب على لغتهم.
4. من بين هذه الآيات:
{وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا} (طه، 113)
{نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ} (الشعراء، 193 - 195)
{إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} (يوسف، 2)
{فَإِنَّمَا يَسَّرْنَا بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} (الدخان، 58)
{قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} (الزمر، 28)
{وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا} (الشورى، 7)
5. فمثلا جاء في ميثاق الشرف المهني لقناة الجزيرة الفضائية، المادة الرابعة، الجزيرة: الرؤية والمهمة "اللغة أداة اتصال، ولا بد للصحفي ان يتقنها

ليتسنى له استخدام مفرداتها وعباراتها بما يخدم الخبر/التقرير/ الموضوع، لأن عدم استخدام المفردة او العبارة الصحيحة ينال من دقة المادة الصحفية، كما ان الأخطاء والركاكة اللغوية تؤثر سلبا على سمعة القناة".

6. نُشير إلى أن هذه الأسئلة صحيحة عندما يكون للعربي سيادة على الحيز. هنالك سياقات خاصة تكون اللغة العربية فيها لغة أقلية كما هو حال العرب الفلسطينيين داخل إسرائيل، وهي مبحثنا ومسعانا.
7. وعن خصوصيات النص الرقمي وأهميته يقول حبيب عبد الرب سروري- موقع الجزيرة:

أ) هو نصٌ فائق: تتعانق فيه كل الوسائط معاً، من صوتٍ وصورةٍ وفديو، في وعاءٍ تفاعليٍّ جميلٍ الإخراج، متعدّد الأبعاد! لذلك هو أرقى وأثرى الوسائط الثقافية التي عرفها الإنسان منذ فجر التاريخ!...

ب) هو نصٌ مفتوح (وليس مغلقاً مثل النص الورقيّ الذي يبدأ بالصفحة الأولى وينتهي بالأخيرة) بفضل «صلات النصوص الفائقة» المشار لها عادةً بخطوط أسفل أية كلمة، والتي تسمح (عند نقرها) بالانتقال إلى موضعٍ آخر في نفس النص أو إلى أيّ نصٍّ آخر في أيّ كمبيوتر في أطراف الكرة الأرضية...

ج) هو نصٌّ دَرِّيُّ الفهرسة (يتم فهرسةُ جميع كلماته، وليس فصوله فقط مثل الكتاب الورقيّ) بفضل ما تسمى: «موتورات البحث» الكونية (مثل غوغل الذي يحوي حالياً أكثر من 25 مليار نص، ومليار صورة، موزعة على نصف مليون كمبيوتر)... بفضلها يمكن الوصول

إلى النص الرقمي بطريقة سحرية مذهشة: يكفي أن تُقدّم لموتورات البحث كلمة نموذجية أو بضعة كلمات من النص أو من عنوانه، أو كلمات قليلة تتعلق به، كي تضع هذه الموتورات النص أمام القارئ وتعرضه على الشاشة في بضعة ثوان! ليس ذلك فحسب، بل تقدّم في نفس الوقت أيضاً، جميع النصوص والوثائق والكتب الموجودة على الإنترنت التي تحتوي على تلك الكلمات النموذجية!... (اللغة العربية في مهبّ العولمة.. مشروع إنهاءض-حبيب عبد الرب سروري- موقع الجزيرة).

8. لا سيما في المدارس والجامعات، ففي المدارس نرى أن الكثير من الكتب في العلوم والرياضيات هي في اللغة العبرية، أما في الجامعات نرى أن اللغة العبرية هي من شروط الانتساب في الجامعة. فسوق العمل تهيمن عليه اللغة العبرية (أنظر مروان أبو غزالة، 2009).

9. قضية رام أعلاه، ص 201-201.

10. أنظروا Joshua A. Fishman, Reversing Language Shift 21 (1991)، مفهوم اللغة على أنها تجسيد لتصوّر ثقافي نجده بكثافة في أعمال الأنثروبولوج بنيامين وورف الذي يدعي أن العالم يتغيّر من لغة إلى أخرى. فاللغة التي يتحدثها شخص تحدد تصوره للعالم. العالم المادي لدى وورف يُفهم بواسطة المباني الجاهزة سلفاً للغة، وهي مباني تؤثر على فهم الشخص للأمور الأساسية مثل فهمه للزمن، وهو ما ينسحب بشكل أكبر على الثقافة. وفي السياق ذاته، تؤكّد وجهة نظر وورف أن اللغة تعكس تصورات ثقافتها ربما أكثر مما تحدها.

11. أنظر مقالة أوهاد نحتومي الذي يقف عند التشابه بين وجهة نظر فيتغنشتاين فيما يتعلق باللغة وبين وجهة نظر ريتشارد تايلور المتعلق بنمو شخصية الفرد من خلال السياق اللغوي وما يتيح من حوار بين متحدث اللغة والآخرين وفق ما تتيحه هذه اللغة من معاني ورموز ودلالات. (أوهاد نحتومي "عن اللغة والهوية" لا 111 139 (2003), 140; أنظروا، أيضا، أوهاد نحتومي "مطلب الاعتراف وعقم الخطاب"، רב תרבותיות במבחן הישראלי (أوهاد نحتومي محرر، 2003) (81).

12. مقولات مشابهة بالنسبة لعلاقة اللغة وكونها محدد ثقافي نجدها عند ألبرت تشين (Albert H. Y. Chen, the Philosophy of Language (1998) وعند دانييل بيل (Daniel Bell, Communitarianism and Its Critics 158-165 (1993) ولدى كاترين لوتس التي أكدت العلاقة الوثيقة بين اللغة وبين المشاعر المعبر عنها في مجموعة لغوية مميزة (Catherine A. Lutz, Unnatural Emotions: Everyday Sentiments on a Micronesian Atoll and Their Challenge to Western Theory 119-154 (1988)). رغم ما طرحه علماء الألسنيات من تحفظات على طرائق البحث والقياس لدى وورف إلا أنهم اتفقوا على قوة استنتاجاته بخصوص العلاقة بين اللغة وبين الوعي والمعرفة لدى الشخص الذي يتحدثها.

13. أنظروا Stephen May, Uncommon Languages: The Challenges and Possibilities of Minority Language Rights, 21(5)

Journal of Multilingual and Multicultural Development
(2000) 374, 366).

14. بخصوص صعوبة ترجمة مفاهيم ثقافية محددة من لغة إلى أخرى والمس الذي قد يحصل للهوية الثقافية جراء ذلك، أنظروا، Nancy C. Dorian, Choices and Values in Language Shift and Its Study, 110 (Int'l. J. Soc. Lang. 113, 115 (1994).

15. النصوص هنا هي تلك التي ينتجها الإنسان كتابيا أو شفويا وتشمل كل حقول الخطاب المتداول ضمن ثقافة ما مثل القانون والدين والأيدولوجيا والممارسات اليومية. وهذه النصوص مثل الأدب والغناء والنكات واللافتات متصلة ببعضها عندما يعبر عنها الناس. استعمال هذه النصوص هو على مدار اليوم وبدونها يستحيل العيش. يتأكد هذا المعنى للغة على أنها نصوص مستعملة على مدار اليوم لدى كليفورد غيرتس الذي يقترب من فهم كميكا للغة على أنها تتيح للفرد قدرة على الاختيار باعتبارها حيزا للحراك وتحقيق الذات.

16. راوم "القيمة الجوهرية للغة"، مصدر سابق، ص. 251. تتيح اللغة تفاعلات غاية في الأهمية بين الأفراد الذين يتحدثون بها وينشطون ضمن الثقافة ذاتها على تصوراتها ومنظومة أعرافها وأخلاقياتها. النصوص الثقافية في لغة ما تجسد تصورات ووجهات نظر ثقافية مرگبة. لأن اللغة تتيح للأفراد التعبير عن وجهات نظر ثقافية خاصة بناطقيها ولأنهم يستطيعون استخدامها لإنتاج نصوصهم وطقوسهم فإنها تتحول إلى رمز للجماعة ومثار تماثل من أفرادها.

17. هي الوثائق التي صدرت عن مؤسسات عربية-فلسطينية في إسرائيل، والتي باتت تُعرف باسم "التصورات المستقبلية"، والمقصود هي الوثائق الأربع: وثيقة "التصور المستقبلي للعرب الفلسطينيين في إسرائيل" الصادرة في كانون الأول 2006 عن اللجنة القطرية لرؤساء السلطات المحلية العربية في إسرائيل، ووثيقة مركز "مساواة" تحت عنوان "دستور متساو للجميع" الصادرة في تشرين الثاني 2006، ووثيقة "الدستور الديمقراطي" الصادر عن مركز "عدالة" في آذار 2007، و "وثيقة حيفا" الصادرة عن مركز "مدى الكرمل" في أيار 2007.

18. انظر أمارة (1995). يرى أمارة أن المعلمين يستعملون العربية الفصحى، في الغالب، عند استعراضهم لموضوع في تعليم العربية فقط. وفي حالات كثيرة، فإنهم يعودون إلى استعمال اللغة المحكية. وفي مواضيع، مثل التاريخ والجغرافيا، يستعمل المعلمون لغة المثقفين - مزيج من المحكية والفصحى، وفي مواضيع العلوم البحتة، يستعمل المعلمون اللغة المحكية أو حتى العبرية.

مصادر

أبو غزالة، مروان (2009). **مواقف اتجاه العربية، العبرية والانجليزية بين الطلاب العرب في جامعة حيفا**. أطروحة ماجستير، جامعة تل-أبيب، قسم التربية (في العبرية).

أمانة، محمد (2006). **العبرية وإسقاطاتها على المجتمع العربي الفلسطيني في إسرائيل**. طمرة: ابن خلدون.

أمانة، محمد (2010أ). **اللغة العربية في إسرائيل: سياقات وتحديات**. دار الهدى، دراسات- المركز العربي للحقوق والسياسات، ودار الفكر.

أمانة، محمد (2010ب). **اللغة والهوية: تأثيرات وتداعيات على التعليم العربي في إسرائيل**. في **الكتاب السنوي لدراسات الناصرة: دراسات- المركز العربي للحقوق والسياسات**. ص. 23-33.

أمانة، محمد ومرعي عبد الرحمن (2004). **سياسة التربية اللغوية تجاه المواطنين العرب في إسرائيل**، مركز الأدب العربي في كلية بيت- بيرل ودار الهدى كفر قرع.

أمانة، محمد ومرعي عبد الرحمن (2008). **اللغة في الصراع: قراءة تحليلية في المفاهيم اللغوية حول الصراع العربي الإسرائيلي**. كفر قرع وعمان: أ. دار الهدى ودار الفكر.

جبران، سليمان (2009). **على هامش التجديد والتقييد في اللغة العربية المعاصرة**. حيفا: مجمع اللغة العربية.

لغتنا العربية: رؤيا وتحديات

- سروري، حبيب عبد الرب (2009) اللغة العربية في مهبّ العولمة.. مشروع إنهاء. مركز الجزيرة للدراسات.
- عبد الحي، محمد (2005). الظاهرة اللغوية: الأصل والتطور والمستقبل. أبو ظبي: المركز الثقافي الإعلامي.

الوثائق الأربعة

- اللجنة القطرية لرؤساء السلطات المحلية العربية في إسرائيل (2006). "التصور المستقبلي للعرب الفلسطينيين في إسرائيل."
- مركز "مساواة" لحقوق المواطنين العرب في إسرائيل (2006). "دستور متساو للجميع"
- مدى الكرمل (2007). "وثيقة حيفا"
- مركز "عدالة" - المركز القانوني للمواطنين العرب في إسرائيل (2007). "الدستور الديمقراطي."

Amara, M. H. (1995). Arabic diglossia in the classroom: Assumptions and reality. In Shlomo Izrae'el and Rina Drory. E.J (eds.), *Israel Oriental Studies*, Vol. 15. *Language and Culture in the Near East* (pp.131-142). Brill, Leiden, The Netherlands.

Amara, M.H. (2002). The place of Arabic in Israel. *International Journal of the Sociology* 158: 53-68.

Amara, M.H. (2003). Recent foreign language education policies in Palestine. *Language Problems and Language Planning* 27 (3): 217-231.

Amara, M. H. and Mari, A. (2002). *Language Education Policy: The Arab Minority in Israel*. Dordrecht, Netherlands: Kluwer Academic Publishing

Bassiouney, R. (2009). *Arabic Sociolinguistics*. Edinburgh: Edinburgh University Press.

Ben-Rafael, E., Shohamy, M., Amara & Trumper-Hecht, N. (2004). *Linguistic Landscape and Multiculturalism: A Jewish Arab Comparative Study*. The Tami Steinmetz Center for Peace Research.

Ben-Rafael, E., Shohamy, M., Amara & Trumper-Hecht, N. (2006). Linguistic Landscape as a Symbolic Construction of the Public Space: The Case of Israel. *International Journal of Multilingualism* 3(1): 7-30.

Crystal, D. (2003). *English as a Global Language* (2nd edition). Cambridge; Cambridge University Press.

Jabareen, Y. T. (2008) *Constitution Building and Equality in Deeply-Divided Societies: The Case of the Arab Minority in Israel*, 26 *Wisconsin International Law Journal* 345.

Fishman, J.A, (2002). Endangered minority languages: Prospects for sociolinguistic research. *International Journal on*

Multicultural Societies 4(2): 1-9.

Haeri, N. (2003). *Sacred language, ordinary people: Dilemmas of Culture and Politics in Egypt*. New York and Basingstoke: Palgrave and Macmillan.

Koplewitz, I. (1992). Arabic in Israel: The sociolinguistic situation of Israel's Arab minority. *International Journal of the Sociology of Language*, 98, 29-66.

Kretzmer, D. (1990). *The Legal Status of the Arabs in Israel*. Boulder: Westview Press

Kymlicka, W. (1995). *Multicultural Citizenship*. New York: Oxford University Press.

Landau, J. (1987). Hebrew and Arabic in the State of Israel: political aspects of the language issue. *International Journal of the Sociology of language* 67. 117-133.

McFerren, M. (1984). *Arabization in the Maghreb*. Washington, D.D.: Center for Applied Linguistics.

Saban, I. and Amara, M. (2002) The Status of Arabic in Israel: Reflections on the Power of Law to Produce Social Change. *Israel Law Review* 36 (2): 5-39.

Sibyan, Bonifacio P. (1988). The intellectualization of Filipino. *International Journal of the Sociology of Language* 88: 69-82.

Spolsky, B. (1994). The situation of Arabic in Israel. In *Arabic Sociolinguistics: Issues and Perspectives*, ed. by Yasir Suleiman, 227-234. London: Curzon Press.

Spolsky, B. (2009). *Language Management*. Cambridge: Cambridge University Press.

Spolsky, B. and Shohamy, E. (1999a). *Languages of Israel: Policy, Ideology and Practice*. Clevedon: Multilingual Matters Ltd.

Spolsky, B. and Shohamy, E. (1999b). Language in Israeli society and education. *International Journal of the Sociology* 137: 93-114.

Suleiman, Y. (2003). *The Arabic Language and National Identity*. Washington, D.C.: Georgetown University Press.

Suleiman, Y. (2004). *A War of Words: Language and Conflict in the Middle East*. Cambridge: Cambridge University Press.

Tabory, M. (1981). Language rights in Israel. *Israel Yearbook on Human Rights* 11: 272-306.

UNESCO, (2008). *Promotion and preservation of languages*. Retrieved 10 July, 2008. <http://www.un.org/events/iyl/multilingualism.shtml>.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

שפתנו הערבית:

חזון ואתגרים

כהמשך לשיח הרעיוני בחברה הערבית-פלסטינית בישראל בכל הקשור לשפה, זהות וזכויות תרבותיות, ועל בסיס מסמכי חזון קולקטיביים קודמים שאנו רואים בהם טקסטים מכוונים, מצאנו לנכון לצעוד צעד אחד קדימה ולגבש, באמצעות כתיבתו של מסמך חזון זה, מערך מדיניות לשפה הערבית וניהולה.

נקודת המוצא המדעית-חברתית שלנו מבקשת להרחיב את המבט על השפה, היות שבסופו של דבר השפה היא גם זהותו של הקולקטיב שדובר אותה, על כל ממדיה ועל כל ההיסטוריה, הזיכרון, התרבות, השאיפות המגולמות בה והעולם הערכי הטמון בה. לפי גישה זו, שפה היא אותו מרחב שבו הקולקטיב מממש את עצמו ואת הווייתו מדי יום ביומו.

לנו, הערבים הפלסטינים בישראל, הערבית היא שפת אם הנושאת את תרבותנו, זהותנו והשתייכותנו, ומהווה את המרחב שבו הערבי, על שלל מרכיביו הלאומיים, התרבותיים והדתיים

שומר על ייחודו ועל חיוניותו בצל התנאים הקשים והמגבילים שיצרה הנכבה - זרות במולדת ובמרחב הלשוני ונחיתות מעמדנו ומעמדה של שפתנו.

היינו רוצים כי השפה הערבית תמלא תפקיד רחב, כאמור לעיל, אלא שאנו מודעים היטב לסביבה הלשונית-חברתית והפוליטית שבה אנו חיים, ולתחרות של השפה הערבית עם העברית, המשמשת את רוב תושבי המדינה ברוב האינטראקציות היומיומיות, וגם מצד השפה האנגלית כשפה הגלובלית של הכלכלה, הטכנולוגיה והאקדמיה. עם זאת, אנו תובעים לעצמנו ולדורות הבאים תנאים שיאפשרו לנו לטפח קשר אינטימי עם שפתנו, קשר שיאפשר לה לעמוד בכל משימותיה ולהיות המרחב שבו אנו חיים וממציאים את עצמנו כפרטים וכקולקטיב. זוהי עמדה עקרונית לגבי שפת־אם שאנו רוצים לצמוח בתוכה וממנה אל פלורליזם לשוני שיאפשר לנו להתחבר אל ההקשר שלנו, מתוך פתיחות למגוון תרבותי ולשונותי.

רבות הן הסיבות - ההיסטוריות, הלשוניות, המדיניות והפסיכולוגיות - שמנעו מהשפה הערבית בארץ לשמור על תפקידה כנושאת הזהות והתרבות של מיעוט מולדת ילידי שמצא את עצמו בקרב הישרדות רב־ממדי, וכמרחב מודרני חי המסוגל לצמוח ולהכיל את תנועת החיים והמדע. מדינת ישראל ניהלה מדיניות לשונית שהעדיפה בבירור את השפה העברית

ונתנה לה קדימות ואף בלעדיות בעיצוב הספֵרה הציבורית, אף על פי שהשפה הערבית היא שפה רשמית במדינת ישראל, לפי החוקים שהשתמרו מימי המנדט הבריטי. המדינה ומוסדותיה פעלו באופן שיטתי כדי להדיר את השפה הערבית ולכרסם במעמדה כחלק מהשתתת אושיות המדינה היהודית והשלטת השפה העברית על המרחב הגיאוגרפי, החברתי והפוליטי. על כן, עבודתנו בתחום השפה וניהולה נעשית כאמור בתוך הקשר של הגמוניה של השפה העברית כשפת הפוליטיקה והמוביליות החברתית, ובצל התחרות עם השפה האנגלית כשפת התקשורת הגלובלית.

כמיעוט לאומי ילידי, חווינו ולמדנו את חשיבותה של השפה בצמיחה וקידמה. אף על פי כן, היחס אל השפה נותר במשך זמן רב מוגבל לשאלות פדגוגיות כגון איך מלמדים ומה תקני ומה לא, או נטוע בגישה רומנטית של הלל ליופיה, לעושרה ולעברה המפואר. למעשה, יחסנו אל השפה לא העפיל לכדי הבנה של החסמים העומדים בפני צמיחתה ופריחתה, ושל הצורך בכך במציאות הנתונה. ייתכן כי מחוויה זו נעדרו מיזמים לניהול השפה וגיבוש מדיניות שתגן עליה, תעצים אותה ותפתח עימה קשר של דיאלוג - דבר שהביא לפיחות במעמדה ולכשלים בצמיחתה והתפתחותה.

אנו ערים לכך שהשפה הערבית מגלה סימני חולשה בכל

החברות הערביות, ולכך שמדינות ערב כשלו במשימה שעמדה לפתחן, להבטיח את התפתחותה באופן העונה לאתגרי העידן הנוכחי בתחום צבירת הידע, המדעים והבעת חוויות בכל התחומים. לכן, התנאים המדיניים המקומיים והאזוריים שסבבו את השפה הערבית העמיקו את הבעייתיות שבקשר בינינו ובין שפתנו גם כאן. נדמה כי השפה נשארה מאחור, לא רק לעומת שפות אחרות ומול שאלות המודרנה וההתפתחות המדעית, אלא גם נוכח המאפיינים הייחודיים של הערבית, ובמיוחד הדיגלוסיה של שפה כתובה ושפה מדוברת, ובשל השתהותם של המוסדות והאקדמיות ללשון, שלא נחפזו להצילה וליזום פרויקטים שיבטיחו את התחדשותה.

במציאות הנוכחית עומדת השפה הערבית מול אתגרים רבים, בצל גורמים היסטוריים ופוליטיים אובייקטיביים שהקשו על תפקודה, במיוחד בכל הקשור להדגשת הזהות והתרבות ושימורן, והכלת העידן הפוסט־מודרני בחיים, במדע ובשאר תחומי הידע. המדיניות הלשונית של מדינת ישראל הטילה מצור על השפה הערבית, כדי להותירה במרחב הפרטי ולמנוע התפתחות מרחב ציבורי שמאפשר תנועה חופשית ומלאה בשפה הערבית, כפי שהיתה אמורה להיות בהיותה זכות טבעית של חברה ילידית. סוגיית האקטיביות והמעמד הפוליטי של השפה הערבית הם שני צירים המייצרים חסמים תמידיים בפני הקשר שבין חברה לשפתה. הניסיון לגבש חזון כולל לשפה הערבית הוא לפיכך

עניין קיומי, וחשוב לכלול בו תוכניות, מיזמים והמלצות מדיניות שיסייעו לה להתחרות עם השפות האחרות במרחב שבו היא מתקיימת ויאפשרו לנו לנהל אותה ולשלוט בה כחלק ממאמץ כולל להתמודד עם מציאות חיינו ולפתוח אופקים לצמיחת קולקטיב לאומי שיש לו אחיזה היסטורית במרחב ובזמן.

ברור כי ניהול השפה והחייאתה, במסגרת המאמץ לקדם את החברה הערבית-הפלסטינית, דורש מאיתנו לאמץ מתודולוגיה ביקורתית שעוקפת את הפרדיגמות המסורתיות שאפיינו את יחסנו אל השפה ואל עצמנו. ברור לנו גם כי היחס אל הערבית כשפת אם כרוך במכלול החזון שלנו לעתיד ולהווייה הקולקטיבית בארץ. אנו מבקשים לגשת אל סוגיית השפה בלב פתוח, מתוך תפיסה של דיאלוג, ולהציע תוכניות עבודה ספציפיות תוך הותרת מרווח של יזמות ליחידים ולארגונים בכל רחבי הארץ. אנו יוצאים מנקודת הנחה שהצלחתנו מותנית במידה רבה בשבירת הקיפאון והמנהגים שכבלו את השפה הערבית במשך שנים. מכאן הקשר בין שחרור השפה ובין הרצון הבסיסי לשחרר את החברה הערבית ולהבטיח את צמיחתה והתפתחותה באופן טבעי במולדתה ההיסטורית.

המגמה

הואיל ואנו, כמיעוט מולדת ילידי, נאחזים בשפתנו, בייחוד שלנו ובזכויותינו התרבותיות; והואיל ואנו ניגשים באופן מודע

להתמודד עם תחום זה, שסבל הזנחה רבה; אנו כחברה, כיחידים וכארגונים נושאים באחריות לתכנון ולהעמדת המשאבים הדרושים לניהול השפה הערבית כשפה חיה ובוועטת, שיש לה קיום ואחיזה במציאות חרף אתגרי העברות, הגלובליזציה והדיגלוסיה.

החזון המפורט שגובש כולל דה־קונסטרוקציה של סוגיית השפה הערבית, אך למעשה הוא מהווה חזון הכולל יישומים פרקטיים החותרים לשינוי המציאות הלשונית באמצעות הידוק הקשר בין החברה לבין השפה והתרבות, ומתווה את התפתחותן כמרחב פתוח למוביליות וצמיחה. מדובר ביישומים שונים ומגוונים שמהווים יחד שורה של פעולות, פרקטיקות ויוזמות של ארגונים ושל יחידים המתעניינים בשפה ובמעמדה בחיי היום־יום. מצאנו לנכון להסכים על שלושה צירים מרכזיים שסביבם בנויות תוכניות ההתערבות והיישומים השונים, כאמור להלן:

הציר הראשון - העצמת השפה הערבית הכתובה וחיזוק העמדות החיוביות של האזרחים הערבים הפלסטינים כלפיה, כשפה מודרנית שיש לה יכולת להתפתח ולצמוח ולהכיל את ההתפתחויות המדעיות, הטכנולוגיות וכו'. אנו מניחים כי האמון שלנו בשפה וההגינות כלפיה נחוצים לפיתוח פרקטיקות ודרכי פעולה שבמרכזן היא עומדת. זאת מתוך מודעות לכך שהמציאות

הלשונית הנוכחית התגבשה בצל יחס כללי גלוי או סמוי לשפה הערבית כשפה שאינה שימושית ואף כנטל. יש לחזק את מעמד השפה הערבית ולשנות את תדמיתה בעיני החברה שלנו כחלק ממאמץ רחב יותר לשינוי ייצוגיה הנוכחיים במרחב הציבורי. יש לשכנע את הציבור להפסיק לראות בערבית שפה חסרת תועלת שיש לדחוק, או לחלופין להפסיק לראות בה חלק מעבר מפואר ומקור לגאווה הצהרתית בלבד. השפה היא חלק מן ההווה ומן העתיד גם יחד, אלמנט אקטיבי ודינמי השזור בזהות ובהוויה.

ברמת המבנה הפנימי של השפה הערבית, אנו מניחים כי היחס בין השפה המדוברת לשפה הכתובה הוא יחס משלים: יש ביניהן חפיפה חלקית, והאחת מעשירה את השנייה ומנהלת עימה שיח היוצר מרחב לשוני שיש בו מקום לשתייהן. בכל מקרה, אין ביניהן קונפליקט ואנו מציעים שלא למתוח ביניהן גבולות מלאכותיים והבחנות שנועדו לחזק את האחת על חשבון האחרת. זאת ועוד: אנו מעוניינים לשמר את הייחוד שמבטאת השפה המדוברת במסגרת הוויה שהשפה הכתובה היא עמוד השדרה שלה. על כן שמורה לדובריה ודוברותיה של הערבית הזכות להשתמש בשפה המדוברת או הכתובה לפי ראות עיניהם, ויש להמיר את ההתמקדות בשאלת הדיגלוסיה בעיסוק במידת השליטה והשימוש לפי הצרכים השונים ובפלורליזם לשוני במסגרת השפה הערבית עצמה.

הציר השני - יש לשכנע את הרוב היהודי, דרך השלטון המרכזי והמקומי כאחד, בצורך להנהיג שוויון בין מעמד השפה הערבית למעמד השפה העברית במרחב הציבורי. יעד זה מצריך עבודה רבה מול מוסדות רשמיים ואקדמיים לשיפור מעמדה של השפה הערבית ולהנכחתה כשפה רשמית שאינה נופלת מהשפה העברית בכל הרמות. אנו מברכים על המאמצים שנעשו בחברה הערבית וארגוניה בעניין זה עד כה, ומדגישים כי יש להמשיך להפעיל לחץ על המדינה באמצעות קידום מדיניות שתביא לשוויון לשפה הערבית, כחלק מהמערכה של הציבור הערבי למען שוויון מהותי מלא. שוויון לשוני נכלל בדרך כלל בזכויות האזרחיות והתרבותיות שקיבלו קבוצות לאומיות במסגרת מאבקן לשמר את זהותן ולהימנע מהיטמעות בתרבות הרוב השליט ומול לחציו. על כן חשוב שהשוויון הלשוני, כזכות קולקטיבית בולטת, לא ייפקד מסדר היום של הציבור הערבי ומוסדותיו ומול המדינה ומוסדותיה. אנו אף ממליצים לתת עדיפות לזכויות התרבותיות, ובכללן לסוגיית השפה הערבית, במאבק למען קיום חופשי ומכובד כמיעוט לאומי שיש לו אחיזה היסטורית במרחב זה.

הציר השלישי - בנייה מחדש של מדיניות הוראת השפה והספרות הערבית, באופן שיהלום את היותה, לפי חזון זה, שפה של זהות, שייכות ותקשורת וכלי ליצירה תרבותית ומדעית. למוסדות החינוך בכל השלבים נודע תפקיד חשוב בפיתוח השפה

ובטיפוח מעמדה, בהיותם מוסדות של חברות בכלל וחברות לשוני בפרט. גם למוסדות אקדמיים ואקדמיים למחצה יש תפקיד חשוב בפיתוח מדיניות הוראה חדשה שתתרום למאמץ הכללי להנהיג את השפה הערבית ולהביאה למצב שבו תוכל להוות מרחב פתוח ושפה דינמית, אקטיבית ואינטראקטיבית. אנו ערים לכך שבחינה מחודשת של שיטות הוראת השפה והספרות הערבית תחולל שינויים נרחבים ויסודיים בתכנים של ספרי הלימוד, תחדד את הנחות העבודה, ותוליד שיטות חדשות של הוראה ושל הכשרת מורים.

מיזם לשוני זה של יצירת מערך מדיניות לשפה הערבית חולש על כל תחומי החיים ומצריך תיאום ושיתוף פעולה בין מאמצייהם של ארגונים וגורמים רבים, במסגרת המחויבות לקווי היסוד שבמסמך זה. תיאום ושיתוף פעולה הם תנאים מקדימים להאצת תהליך של התערבות לשינוי המציאות הלשונית ברוח הדברים שהובאו לעיל. אנו קוראים אפוא לכל הגורמים, הן הרשמיים והן הקהילתיים, לתרום את חלקם למיזם חשוב זה, שנועד להעצים את החברה הערבית ואת השפה הערבית, כדי להעשיר את הזהות והתרבות הערבית ואת התרבות בכלל בארץ. כל רעיון, הצעה או ביקורת רצויים בשיח סביב חזון זה. אנו מקווים מקרב לב כי ימצא מי שיענה לקריאה זו ויוסיף משלו על פועלנו.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

■ **Arabic Language:** Vision and Challenges ■

empower our society, strengthen our language, and enrich Arab and Palestinian identity and culture in the country. In this light, we welcome creative and original thinking and seek out constructive debate and critiques of our proposal. We also welcome concrete ideas for implementing this vision. In the spirit of cooperation and communal advancement, we hope this document will represent a starting point for bringing about the realization of this vision for Arabic and the attendant advancement of our community.

Arabic Education: Finally, we advocate for completely reconstructing the policies of teaching the Arabic language and Arabic literature. Arabic education should present Arabic as a language of identity, belonging and interconnection, and as a medium of cultural and scientific creativity. We realize that this would necessitate major changes in curricular content, a reassessment of working assumptions, the introduction of innovative new teaching methods, and a retraining of language teachers. Importantly, educational institutions, which are primary socializing agencies, play a key role in enhancing the Arabic language and its status. This includes recognized academic and semi-academic institutions along with institutions that focus on research and study both within the Arab community and generally. These organizations are important in creating new language education policies. No less importantly, Arab organizations can spearhead collective community efforts and activities to promote Arabic as a vital and interactive force.

A long-term and comprehensive linguistic project of this nature would require tremendous investment and commitment by numerous institutions and bodies. The success of such an endeavor, and the realization of the principles outlined here, requires coordination, cooperation and partnership. Accordingly, we call on governmental and civil organizations to join in this vision and participate in this vital project. This endeavor will

■ Arabic Language: Vision and Challenges ■

Advocating for Arabic in Israel: The second avenue for change involves working with the Jewish public, along with local and national organizations and government, to realize Arabic as a language which is equal to Hebrew in status and functionality in the public sphere. This aim is integrally connected to our indigenesness and our position as a national minority. Indeed, linguistic rights are one of the most central cultural rights such groups strive to achieve. This is not by accident; language preservation and maintenance can help minorities stave off assimilation and preserve their identities in the face of pressure exerted by majority groups. The same is true for the Arab-Palestinian minority; the community sees Arabic as a prominent collective right worthy of advocacy and believes that the issue of the Arabic language must be given priority in our efforts to live free and honorable lives as a distinct minority with national, cultural and historical ties to this region.

To achieve this aim, we must engage in a concerted campaign within academia and in other official institutions within the State to raise the profile of Arabic and enhance its presence as an official language. Some promising steps have already been taken by our community and its institutions. However, much more needs to be done to maintain these gains and to continue to advance. Indeed, our struggle for substantive equality in all realms requires that we persist until we realize this vision.

first step. Today, much of the Arabic public holds a negative conception of Arabic; this must change to become more positive. Indeed, Arabic is believed to be impractical and, at times, an obstacle to advancement; it is either seen as superfluous and useless or as a relic of the past and nothing more than a source of verbal pride. Instead, we posit that Arabic can be seen as a vehicle of modernism capable of growing and evolving in order to meet the needs of fluid identities, ways of life and scientific knowledge. To bring about this transformation, our language must become our present as well as our past, a language that is intertwined with our identity and existence and is viewed as a vital, active and dynamic component of our lives.

Structurally, we believe that both the colloquial and standard varieties of Arabic complement each other. Instead of engaging in destructive comparisons which can result in the weakening of both, they should both be valued equally and in their own right. The next generation should be competent in the colloquial and standard languages and use them as they believe to be relevant. By making both the standard and colloquial permissible, we can avoid the issue of diglossia, ensure that Arabic meets the needs of people in their daily lives and also reflect the linguistic variation within the Arabic language itself.

Our Objectives

As an indigenous national minority, we are concerned about the state of Arabic in Israel. Unfortunately, to date, there has been virtually no serious work done regarding this issue. As a collection of individuals and institutions, we hope to begin the important process of both increasing the functionality of Arabic and making it a tool for communal growth and development. This document is meant to support the planning and implementation of initiatives which can appropriately deal with the myriad of external, internal and inherent challenges to Arabic.

We have created both a linguistic vision along with practical steps and recommendations for realizing this vision. While the steps outlined here vary in character and intensity, together they form an integrated series of activities, practices and initiatives, both individual and collective, which aim to promote the standing of Arabic.

Our recommendations can be roughly divided into three different categories and broad frameworks for action, as outlined below:

Reinvigorating Standard Arabic: We believe that revitalizing Standard Arabic within Arab-Palestinian society is an essential

and internal – are many.

The projects and policies we propose here have been developed in light of our view of Arabic as both an existential issue and an essential element of our national identity. Revitalizing Arabic, and creating a new relationship with it, will be a key strategy for developing as a national group with its own sense of time and place. Examining Arabic as a native language is integrally connected to our vision for our future, along with our collective identity within our native land. Realizing this vision requires reevaluating our previous approach and creating a new set of guidelines for the future.

We believe that success in this endeavor, to large degree, will require liberating our mother tongue from deeply-ingrained habits, clannishness and the paralysis in which it is currently mired. Therefore, we also approach this endeavor from the perspective of openness and dialogue. The proposed programs and proposals are intended to be triggers for ideas which other individuals and institutions can adopt and modify in the context of their own initiatives and in implementation of their own programs.

■ **Arabic Language:** Vision and Challenges ■

promoting communal growth and development. However, sadly, our relationship with our mother tongue has been primarily instrumental in nature. Within our community, we have focused either on the technicalities of how to teach it, or, alternatively, romantic notions which revel in its beauty, rhetorical richness and past glories. In other words, the way in which we have related to our language has been incompatible with our understanding of the obstacles which prevent it from evolving and flourishing, and its role in our lives today. Similarly, we may also lack the necessary expertise to manage, protect, strengthen and develop a dialogue with Arabic. Attitudes of our community towards the language may have contributed to its decline and current stagnation.

This misguided approach to Arabic takes place against the backdrop of the general context in which we live. The Arabic language has languished in all Arab societies while, simultaneously, Arab countries and governments have failed to promote its vitality in line with rapid changes in information acquisition and technological advances in the modern world. Furthermore, as noted previously, social and political conditions in Israel have had a tremendously negative impact on the state of Arabic – and our relationship to it – while pressure from both Hebrew and English are encroaching on its usage and development. It has been further weakened by its own internal structures, especially its diglossic division into standard and colloquial forms. The challenges – both external

position of the State.

Furthermore, Arabic is weakened by the general linguistic, social and political contexts in which we live. On the practical level, Arabic faces stiff competition from both Hebrew, as the language of socio-economic mobility, daily communication and public life, and from English, as the dominant language in an increasingly globalized and technologically-driven world. While Arabic has the potential to evolve to encompass all aspects of daily life and express the most complex and profound levels of human knowledge, political, historical, linguistic and psychological factors are preventing this from taking place.

Despite these varied and seemingly insurmountable challenges, we are committed to strengthening and promoting our mother tongue and ensuring that Arabic not only survives but thrives. This is essential in order for us to live productive and meaningful lives individually and collectively, now and in the future.

Therefore, we advocate for the creation of a truly multilingual society; we envision Arabic which will serve as a vehicle for the enrichment of our own society while also creating a channel of authentic dialogue with other cultural and linguistic groups.

As an indigenous and national group, we are increasingly aware of the importance of language – and specifically Arabic – in

■ Arabic Language: Vision and Challenges ■

only our mother tongue but the vehicle which drives our culture, identity and sense of belonging. It is our Arab space and home with its national, cultural and religious components. Arabic, as an expression of our entire identity, distinguishes us as a separate and distinctive group and grants us strength and vitality. Thus, it is a fundamental aspect of our lives as individuals and an indigenous collective which is living with a sense of alienation in our homeland.

Today, in the wake of the *Nakba* [Palestinian catastrophe of 1948], our community and our language are challenged in a number of ways. While Arabic is an official language under Israeli law, as it was during the British mandate period, the State of Israel has adopted an unequivocal policy of giving preference to Hebrew over Arabic. Hebrew not only holds a dominant – and, indeed, exclusive position in the public sphere – it is also used strategically to strengthen the foundations of the State as the homeland of the Jews. Simultaneously, the State and its institutions have systematically attempted to suppress Arabic and weaken its standing. The many political restrictions on the Arabic language are an on-going obstacle which hinders our ability to form a healthy and meaningful relationship with our language. This unofficial policy of suppression violates the basic rights of indigenous peoples to use their own language. Arabic in Israel is relegated to an inferior position due to the dominant ideological

Introduction

In this document, you will find suggested guidelines for policy development in relation to Arabic in Israel. It outlines our thoughts and assumptions concerning language, identity and cultural rights while also taking into account previous vision documents developed collectively by our community which deal more generally with Arab-Palestinian's status as a national minority in Israel. Our vision and conclusions are informed by our professional activities and by the socio-political context in which we find ourselves.

In this document, we view and analyze language and its importance in the broadest sense. Sociologically, it is regarded as the ultimate and fullest expression of our community's multi-dimensional character. Arabic is as deeply entwined with our identity, history, culture and collective memory. No less important, Arabic continues to be a living language in which we conduct our daily affairs and, in this context, is the primary medium for expressing our collective norms, expectations and values and as a society. All of these aspects of Arabic, and our relationship to it, inform the general principles outlined here.

As Arab-Palestinians citizens of Israel, the Arabic language is not





Arab Pedagogical Council



Follow-Up Committee on
Arab Education



Dirasat - Arab Center
for Law and Policy

Arabic Language in Israel: Vision and Challenges

Prof. Muhammad Amara

